www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ شوال سنة ١٣٤٥ هـ ١١ برج الثور سنة ١٣٠٦ هـ ش ٢ مايو سنة ١٩٢٧

فتاوى المنار

حكم بناء فنادق المسافرين ، واجارتها لغير المسلمين

(س٥) جاءنا من عمر بك الداعوق أحد أعضاء جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية العاملين في بيروت كتابا يتضمن الاستفتاء في بناء فندق للجمعية كفنادق مصر الكبرى وتأجيره . . . فأجبناه بالجواب الآتي المتضمن للسؤال :

من محمد رشيد رضا إلى حضرة الوطني العمراني العامل عمر بك الداعوق .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد كتبت إليَّ بأن جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت قد طلب منها إنشاء فندق على الطراز الحديث كفنادق القطر المصري الكبرى لاستثماره بالاجارة ، وصرف أجرته السنوية في تعليم أولاد فقراء المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة

وسألتني هل في تأجير الفندق محذور شرعي يحرمه ؟ ولم تذكر لي ما عرض لك من الشبهة على تحريمه فكانت سبب السؤال ، وما تأجير الفندق إلا كتأجير دور السكنى للأفراد وأهل بيوتهم وحوانيت التجارة ومخازنها ، وأنا أعلم أن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

للجمعية شيئاً من ذلك تؤجره كما أن لبعض أعضائها مثل ذلك ، فما بالكم تؤجرون هذه المباني ولا تستفتون في تأجيرها لان الاجارة من العقود المعلوم حلها من الدين بالضرورة ، وخصصتم إجارة الفندق بالاستفتاء والحال ان المراد صرف أجرته في أشرف الاعمال وأفضلها ويتسامح في المصالح العامة ما لا يتسامح في المنافع الخاصة ؟

فاذا كانت الشبهة على هذا ان بعض المسافرين الذين ينزلون في هذه الفنادق قد يشربون الخمر فيها ، والمستأجر يعدها لهم ويبيعهم اياها ، فسكان البيوت والدور وغيرها وتجار الحوانيت منهم من يشربون الخمر ويفعلون غير ذلك من المعاصي كالبيوع الباطلة أو الفاسدة والغش ، ولا نعلم ان أحداً من أئمة الفقه اشترط في صحة أجارة الدار أن يكون المستأجر مسلما من الصالحين المتقين لئلا يرتكب فيها محرما . فالتأجير لغير المسلم وللمسلم الفاسق جائز بالاجماع ، واننا نرى وزارة الأوقاف بمصر ونظار الاوقاف الخاصة في هذه البلاد وغيرها من بلاد الاسلام يؤجرون الدور الموقوفة للمسلمين وغير المسلمين ولا يبحثون عن عقائدهم ولا عن أعمالهم . وأوقاف المساجد والاعمال الخيرية في ذلك سواء . والفنادق الكبرى في مصر يستأجرها ويدير نظامها أناس ليسوا من المسلمين ولا من دار لاسلام . وقد نص الفقهاء على ان غير المسلم لا يكلف مراعاة الشريعة الاسلامية في الحلال والحرام كالعبادات ، كما أن المسلم نفسه لا يكلف مراعاة الاحكام الشرعية الاسلامية المدنية في غير دار الاسلام ، كشروط البيع والاجارة والشركات ، وكذلك يكون فندق جمعيتكم في بيروت غالبا وان كان فيها فنادق أخرى صغيرة محلية يتولى ادارتها بعض المسلمين .

وأنتم تعلمون ان بيروت وسائر سورية الآن ليست دار اسلام أي ان الاحكام المدنيه فيها ليست على الشريعة الاسلامية . والسلطة فيها ليست في أيدي المسلمين ، هذا وان أكثر أحكام المعاملات المدنية في الشريعة الاسلامية اجتهادية مبنية على ضبط المعاملات التي تدور على حفظ المصالح ودرء المفاسد ، وقد أفتى الفقهاء بحل جميع أموال أهل الحرب فيما عدا السرقة والخيانة ونحوها ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فما كان برضاهم أو عقودهم فهو حلال لنا مهما يكن أصله حتى الربا الصريح ، ويجري على هذا مسلمو بعض الأقطار كالصين وكذا بعض بلاد الهند فيما بلغنا . ومن أفظع الجهل بأحكام شريعتنا وحكمها أن نجعلها وهي الحنيفية السمحة التي غايتها سعادة الدارين سببا لشقاء المسلمين وفقرهم واستيلاء غيرهم على ثروتهم في دارهم وغير دارهم ، وهم يعلمون ان جميع الاحكام المالية حتى الدينية منها كالزكاة لم تشرع الا بعد ان صار للمسلمين دار تنفذ فيها احكامها بعد الهجرة النبوية

فان قلت : هل يحل للمسلم ان يبني معبداً ليؤجره لأهل ملة يعبدون فيه غير الله تعالى او حانة للخمر او ماخوراً للفسق يؤجرهما لغير المسلمين لينتفع بمالهم ؟ قلت لايحل له ذلك لانه يبني لاجل الترك بالله ونشر الفسق الذي حرمه الله ابتداء وقصداً لذلك . والفندق ليس كذلك اذ لا يبنى لأجل الشرك ولا لأجل الفسق ولا يؤجر لأجلهما مباشرة وقصداً ، بل القصد منه ايواء المسافرين فهو كالدور التي يسكنها الافراد والاسر ، والمستشفيات التي تعد لمداواة المرضى ، وفي كل من الدور والمستشفيات قد يقع بعض المحرمات من شرب الخمر وغيره من المكلفين بفروع الشريعة وغيرهم ، ولكن الدار لم تبن ولم تؤجر لاجل هذه المحرمات التي قلما يخلو منها مكان في هذا العصر ، وكذلك المستشفى

وههنا مدرك آخر للنازلة المسؤل عنها وهي مراعاة حال العصر التي يعبر عنها الفقهاء بعموم البلوى فمن المعلوم ان مدينة بيروت أكثر أهلها من غير المسلمين وان المسلمين فيها قد فشت فيهم ضروب من الفسق كشرب الخمر والزنا من الكبائر ، والظهور على عورات النساء المحارم وغير المحارم من الصغائر التي هي ذرائع الكبائر ، والكثير من دورها وحوانيتها أو أكثرها للمسلمين ، فاذا لم يبح لهم اجارة دورهم وحوانيتهم إلا لمسلم صالح تقي يرجح المستأجر انه لا يرتكب فيها محرما ـ فان أكثرها يصير معطلا خاليا لا ينتفع به بل يسرع اليه الخراب ، كما يسرع الى أهله الفقر والفناء ، لان المسلم الصالح التقي المأمون فسقه قليل وربما يكون مالك البيت يسكنه

وهذا حجة الاسلام الغزالي من اكبر فقهاء الشافعية وصوفية المسلمين الورعين قد أفتى بأن المال اذا حرم كله في بلد أو قطر حل كله . وقال هو وغيره ان البلاد

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التي يغلب أو يعم فيها المال الحرام بالمعاملات الباطلة والفاسدة لا يؤخذ فيه بقول من قال انه يتعدى بل يكفي المسلم الورع فيه ان يأخذ المال من طريق حلال وان كان أصله حراما

فاذا راعينا مع هذا قاعدة امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى في كون العبادات يؤخذ فيها بظواهر النصوص من الكتاب والسنة وكون مدار أحكام المعاملات على المصلحة وان النصوص ترد اليها ، وتذكرنا مع هذا انه ليس لدينا نص من الكتاب ولا من السنة في تحريم بناء الفنادق ولا تحريم اجارتها يعارض أصل الاباحة أو يعارض المصلحة المعلومة بالقطع لم يبق لديك احتياج الى دليل آخر على الحل الذي لاتشوبه شبهة

رفوق هذا كله خطر تحريم مالم يحرمه الله تعالى في كتابه ولا على لسان رسوله بنص قطعي لا شبهة فيه . هذا الخطر اكبر وأشد وأعظم من خطر اتقاء شبهة في عمل حلال في الاصل كالشبهة التي فرضناها في نازلتنا

يقول علماء الاصول ان التحريم هو حكم الله المقتضي للترك اقتضاء جازما ، فأين هذا الخطاب في مسألتنا ؟ قد أنزل الله تعالى في أم الخبائث وأضر الرذائل قوله لرسوله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) وما كان ضرره أكبر من نفعه والمفسدة فيه أكبر من المصلحة بتجارب الناس فهو محرم عند جميع فقهائنا ، ولكن رسول الله ﷺ لم يحرم الخمر والقمار على جميع المسلمين بهذه الآية التي أخبر فيها رب العالمين المحيط بكل شيء علما بان اثمهما أكبر من نفعهما ، فعلم منه أن هذا لا يقتضي ترك جميع الناس لها اقتضاء قطعيا جازما ، اذ بقي فيه مجال لاجتهاد الافراد في الموازنة بين النفع والضرر ولذلك ترك الخمر والميسر بعض الصحابة لأنهم فهموا منها التحريم ، وظل بعضهم يشرب الخمر ويأكل مال الميسر ، وظل عمر بن الخطاب (ض) يقول : اللهم بين لنا في الخمر بيانا ـ حتى اذا ما نزلت آيات سورة المائدة آمرة باجتنابها أمرا صريحا قطعيا لايحتمل التأويل مؤكدة له ببيان علته وبقوله تعالى (فهل أنتم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منتهون)؟ قال جميع المسلمين قد انتهينا ياربنا . وصار كل من عنده خمر يهرقها حتى سالت بها شوارع المدينة كأودية السيل

إن التحريم الديني على العباد حق الله وحده وقد قال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية . وقال في بيان أصول الكفر والمعاصي الكلية (قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) قال بعض المحققين إن هذه المحرمات قد ذكرت على طريقة الترقي في الغلظة والشدة كل نوع أغلظ مما قبله، وذلك أن كلا من المعاصي والشرك والكفر قسمان قاصر على فاعله ، ومتعد إلى غيره ، فمعصية البغي على الناس أشد من الفاحشة والاثم القاصر على فاعله ، والشرك بالقول على الله تعالى بغير علم أغلظ من الشرك القاصر على فاعله . وقد صرح الكتاب العزيز بأن القول في الشرع بغير وحي من الله تعالى شرك به في قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد فسرها النبي ﷺ نفسه في حديث عدي بن حاتم بانهم كانوا يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم ، فهذا معني اتخاذهم أربابا . ويراجع النص في التفسير المأثور من شاء

أكتفي بهذا في بيان دحض شبهة تحريم بناء الفندق وتحريم إجارته (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قاعدة جليله

(فيما يتعلق بأحكام السفر والإقامة)

(لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى)

﴿ تابع لما قبله ﴾

﴿ النوع الثاني ﴾ من موارد النزاع ان عثمان كان لا يرى مسافرا الا من حمل الزاد والمزاد دون من كان نازلا فكان لا يحتاج فيه الى ذلك كالتاجر والتاني (١) والجابي الذين يكونون في موضع لا يحتاجون فيه إلى ذلك ولم يقدر عثمان للسفر قدرا بل هذا الجنس عنده ليس بمسافر وكذلك قيل إنه لم ير نفسه والذين معه مسافرين بمنى لما صارت منى معمورة. وذكر ابن أبي شيبة عن ابن سيرين أنه قال كانوا يقولون السفر الذي تقصر فيه الصلاة الذي يحمل فيه الزاد والمزاد ومأخذ هذا القول والله أعلم أن القصر انما كان في السفر لا في المقام والرجل اذا كان مقيما في مكان يجد فيه الطعام والشراب لم يكن مسافرا بل مقيما بخلاف المسافر الذي يحتاج أن يحمل الطعام والشراب فان هذا يلحقه من المشقة ما يلحق المسافر من مشقة السفر وصاحب هذا القول كأنه رأى الرخصة انما تكون للمشقة والمشقة انما تكون لمن يحتاج الى حمل الطعام والشراب ، وقد نقل عن غيره كلام يفرق فيه بين جنس وجنس روى ابن ابى شيبة عن علي بن مسهر عن ابى اسحاق الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال لا يغرنكم سوادكم هذا من صلاتكم فانه من

(١) كذا بالأصل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصركم فقوله من مصركم يدل على انه جعل السواد بمنزلة المصر لما كان تابعاله وروى عبدالرزاق عن معمر عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال كنت مع حذيفة بالمدائن فاستأذنته أن آتي اهلي بالكوفة فأذن لي وشرط عليّ ان لا افطر ولا اصلي ركعتين حتى ارجع اليه وبينهما نيف وستون ميلا وعن حذيفة ان لا يقصر الى السواد وبين الكوفة والسواد تسعون ميلا وعن معاذ بن جبل وعقبة بن عامر لا يطأ احدكم بماشية احداب الجبال أو بطون الاودية وتزعمون انكم سفر لاولا كرامة انما التقصير في السفر من البآءآت(١) من الافق إلى الافق

(قلت) هؤلاء لم يذكروا مسافة محدودة للقصر لا بالزمان ولا بالمكان لكن جعلوا هذا الجنس من السير ليس سفرا كما جعل عثمان السفر ما كان فيه حمل زاد ومزاد فان كانوا قصدوا ماقصده عثمان من ان هذا لا يزال يسير في مكان يحمل فيه الزاد والمزاد فهو كالمقيم فقد وافقوا عثمان لكن ابن مسعود خالف عثمان في اتمامه بمنى ، وان كان قصدهم ان اعمال البلد تبع له كالسواد مع الكوفة وانما المسافر من خرج من عمل الى عمل كما في حديث معاذ من افق الى افق فهذا هو الظاهر ولهذا قال ابن مسعود عن السواد فانه من مصركم وهذا كما ان ماحول المصر من البساتين والمزارع تابعة له فهم يجعلون ذلك كذلك وان طال ولا يجدون فيه مسافة وهذا كما ان المخاليف وهي الامكنة التي يستخلف فيها من هو خليفة عن الامير العام بالمصر الكبير . وفي حديث معاذ من خرج من مخلاف الى مخلاف يدل على ذلك مارواه محمد بن بشار

(١) كذا بالأصل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حدثنا ابو عامر العقدي حدثنا شعبة سمعت قيس بن عمران بن عمير يحدث عن ابيه عن جده انه خرج مع عبد الله ابن مسعود وهو رديفه على بغلة له مسيرة اربعة فراسخ فصلى الظهر ركعتين، قال شعبة اخبرني بهذا قيس بن عمران وابوه عمران بن عمير شاهد وعمير مولى ابن مسعود ، فهذا يدل على ان ابن مسعود لم يحد السفر بمسافة طويلة ولكن اعتبر امراً آخر كالاعمال وهذا أمر لا يحد بمسافة ولا زمان لكن بعموم الولايات وخصوصها مثل من كان بدمشق فاذا سافر الى ماهو خارج عن اعمالها كان مسافراً . واصحاب هذه الاقوال كأنهم رأوا ما رخص فيه للمسافر إنما رخص فيه للمشقة التى تلحقه في السفر ، واحتياجه إلى الرخصة ، وعلموا أن المنتقل في المصر الواحد من مكان إلى مكان ليس بمسافر ، وكذلك الخارج إلى ما حول المصر كما كان النبي ﷺ يخرج إلى قباكل سبت راكبا وماشيا ، ولم يكن يقصر وكذلك المسلمون كانوا يتابون الجمعة من العوالي ولم يكونوا يقصرون فكان المنتقل في العمل الواحد بهذه المثابة عندهم

وهؤلاء يحتج عليهم بقصر أهل مكة مع النبي ﷺ بعرفة ومزدلفة ومنى ، مع ان هذه تابعة لمكة ومضافة إليها وهي أكثر تبعا لها من السواد للكوفة وأقرب اليها منها فان بين باب بني شيبة وموقف الامام بعرفة عند الصخرات التى في أسفل جبل الرحمة بريد بهذه المسافة وهذا السير وهم مسافرون واذا قيل المكان الذي يسافرون اليه ليس بموضع مقام قيل بل كان هناك قرية نمرة والنبي ﷺ لم يزل بها وكان بها أسواق وقريب منها عرنة التى تصل واديها بعرفة ولانه لا فرق بين السفر الى بلد تقام فيه وبلد لا تقام فيه اذا لم يقصد الاقامة فان النبي ﷺ والمسلمين سافروا الى مكة وهي بلد يمكن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاقامة فيه وما زالوا مسافرين في غزوهم وحجهم وعمرهم وقد قصر النبي ﷺ الصلاة في جوف مكة عام الفتح وقال «يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر» وكذلك عمر بعده فعل ذلك، رواه مالك باسناد صحيح ولم يفعل ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر بمنى[1] ومن نقل ذلك عنهم فقد غلط وهذا بخلاف خروج النبي ﷺ الى قبا كل سبت راكبا وماشيا وخروجه الى الصلاة على الشهداء فانه قبل أن يموت بقليل صلى عليهم وبخلاف ذهابه الى البقيع وبخلاف قصد أهل العوالي المدينة ليجمّعوا[2] بها فان هذا كله ليس بسفر فان اسم المدينة متناول لهذا كله وانما الناس قسمان الاعراب وأهل المدينة ولان الواحد منهم يذهب ويرجع الي أهله في يومه من غير أن يتاهب لذلك اهبة السفر فلا يحمل زاد ولا مزادا لا في طريقه ولا في المنزل الذي يصل اليه ولهذا لا يسمى من ذهب الي بعض مدينته مسافرا ولهذا تجب الجمعة على من حول المصر عند أكثر العلماء وهو يقدر بسماع النداء وبفرسخ ولو كان ذلك سفرا لم تجب الجمعة على من ينشيء لها سفرا فان الجمعة لا تجب على مسافر فكيف يجب أن يسافر لها

وعلى هذا فالمسافر لم يكن مسافرا لقطعه مسافة محدودة ولا لقطعه أياما محدودة بل كان مسافرا لجنس العمل الذي هو سفر وقد يكون مسافرا من مسافة قريبة ولا يكون مسافرا من أبعد منها مثل أن يركب فرسا سابقا ويسير مسافة بريد ثم يرجع من ساعة الى بلده فهذا ليس مسافرا وان قطع هذه المسافة في يوم وليلة ويحتاج في ذلك الى حمل

(١) اي لم يأمروا اهل مكة بالاتمام لانهم يعدون في منى مسافرين

(٢) اي ليصلوا الجمعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زاد ومزاد فكان مسافرا كما كان سفر أهل مكة الي عرفة ولو ركب رجل فرسا سابقا الى عرفة ثم رجع من يومه الي مكة لم يكن مسافرا يدل على ذلك أن النبي ﷺ لما قال « يمسح المسافر ثلاثة أيام ولياليهن والمقيم يوما وليلة » فلو قطع بريدا في ثلاثة أيام كان مسافرا ثلاثة أيام ولياليهن فيجب أن يمسح مسح سفر ولو قطع البريد في نصف يوم لم يكن مسافرا فالنبي ﷺ انما اعتبر أن يسافر ثلاثة أيام سواء كان سفره حثيثا أو بطيئا سواء كانت الايام طوالا أو قصارا ومن قدره ثلاثة أيام أو يومين جعلوا ذلك بسير الابل والاقدام وجعلوا المسافة الواحدة حدا يشترك فيه جميع الناس حتى لو قطعها في يوم جعلوه مسافرا ولو قطع ما دونها في عشرة أيام لم يجعلوه مسافرا وهذا مخالف لكلام النبي ﷺ

وايضا فالنبي ﷺ في ذهابه الى قبا والعوالي واحد ومجيء اصحابه من تلك المواضع الى المدينة انما كانوا يسيرون في عمران بين الابنية والحوائط التي هي النخيل وتلك مواضع الاقامة لا مواضع السفر ، والمسافر لابد ان يسفر اي يخرج الى الصحراء فان لفظ السفر يدل على ذلك يقال سفرت المرأة عن وجهها اذا كشفته فاذا لم يبرز الى الصحراء التي ينكشف فيها من بين المساكن لا يكون مسافرا قال تعالى (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق) وقال تعالى (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) فجعل الناس قسمين اهل المدينة والاعراب .والاعراب هم اهل العمود واهل المدينة هم اهل المدر ، فجميع من كان ساكنا في مدر كان من اهل المدينة ولم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكن للمدينة سور ينهز به داخلها من خارجها بل كانت محال، محال، وتسمى المحلة دارا، والمحلة القرية الصغيرة فيها المساكن وحولها النخل والمقابر ليست ابنية متصلة، فبنو مالك بن النجار في قريتهم حوالي دورهم اموالهم ونخيلهم، وبنو عدي بن النجار دارهم كذلك، وبنو مازن بن النجار كذلك، وبنو سالم كذلك وبنو ساعدة كذلك، وبنو الحارث بن الخزرج كذلك، وبنو عمرو بن عوف كذلك وبنو عبد الاشهل كذلك، وسائر بطون الانصار كذلك، كما قال النبي ﷺ «خير دور الانصار دار بني النجار ثم دار بني عبد الاشهل ثم دار بني الحارث ثم دار بني ساعدة وفي كل دور الانصار خير» وكان النبي ﷺ قد نزل في بني مالك بن النجار وهناك بنى مسجده وكان حائطا لبعض بني النجار فيه نخل وخرب وقبور فأمر بالنخل فقطعت وبالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبنى مسجده هناك وكانت سائر دور الانصار حول ذلك قال ابن حزم ولم يكن هناك مصر قال وهذا امر لا يجهله احد بل هو نقل الكوافي عن الكوافي وذلك كله مدينة واحدة كما جعل الله الناس نوعين اهل المدينة ومن حولهم من الاعراب، فمن ليس من الاعراب فهو من اهل المدينة، لم يجعل للمدينة داخلا وخارجا وسورا وربضا كما يقال مثل ذلك في المدائن المسورة، وقد جعل النبي ﷺ حرم المدينة بريدا في بريد والمدينة بين لابتين، واللابة الارض التي ترابها حجارة سود وقال «ما بين لابتيها حرم» فما بين لابتيها كله من المدينة وهو حرم فهذا بريد لا يكون الضارب فيه مسافرا. وان كان المكي اذا خرج الى عرفات مسافرا فعرفة ومزدلفة ومنى صحاري خارجة عن مكة ليست كالعوالي من المدينة وهذا ايضا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مما يبين انه لا اعتبار بمسافة محدودة فان المسافر في المصر الكبير لو سافر يومين او ثلاثة لم يكن مسافرا والمسافر عن القرية الصغيرة اذا سافر مثل ذلك كان مسافرا فعلم انه لا بد ان يقصد بقعة يسافر من مكان الى مكان فاذا كان ما بين المكانين صحراء لا مساكن فيها يحمل فيها الزاد والمزاد فهو مسافر وان وجد الزاد والمزاد بالمكان الذى يقصده ،

وكان عثمان جعل حكم المكان الذي يقصده حكم طريقه فلا بد ان يعدم فيه الزاد والمزاد وخالفه اكثر علماء الصحابة وقولهم ارجح فان النبي ﷺ قصر بمكة عام فتح مكة وفيها الزاد والمزاد واذا كانت منى قرية فيها زاد ومزاد فبينها وبين مكة صحراء يكون مسافرا من يقطعها كما كان بين مكة وغيرها ولكن عثمان قد تأول في قصر النبي ﷺ بمكة انه كان خائفا لانه لما فتح مكة والكفار كثيرون وكان قد بلغه ان هوازن جمعت له وعثمان يجوز القصر لمن كان بحضرة عدو وهذا كما يحكى عن عثمان انه يعني النبي ﷺ انما امرهم بالمتعة لانهم كانوا خائفين وخالفه علي وعمران بن حصين وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة وقولهم هو الراجح فان النبي ﷺ في حجة الوادع كان آمنا لا يخاف الا الله وقد أمر اصحابه بفسخ الحج الى العمرة والقصر وقصر العدد انما هو معلق بالسفر ولكن اذا اجتمع الخوف والسفر ابيح قصر العدد وقصر الركعات وقد قال النبي ﷺ هو وعمر بعده لما صليا بمكة « يا اهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر » بين أن الواجب لصلاتهم ركعتين مجرد كونهم سفرا فلهذا الحكم تعلق بالسفر ولم يعلقه بالخوف

فعلم ان قصر العدد لا يشترط فيه خوف بحال وكلام الصحابة او

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اكثرهم من هذا الباب يدل على انهم لم يجعلوا السفر قطع مسافة محدودة او زمان محدود يشترط فيه جميع الناس بل كانوا يجيبون بحسب حال السائل فمن رأوه مسافراً اثبتوا له حكم السفر والا فلا

ولهذا اختلف كلامهم في مقدار الزمان والمكان فروى وكيع عن الثوري عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن ابن عباس قال اذا سافرت يوما الى العشاء فان زدت فقصر ورواه الحجاج بن منهال ثنا ابو عوانة عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن ابن عباس قال لا يقصر المسافر في مسيرة يوم إلى العتمة الا في اكثر من ذلك وروى وكيع عن شعبة عن شبيل عن أبي جمرة الضبعي قال قلت لابن عباس اقصر الى الايلة ؟ قال تذهب وتجيء في يوم ؟ قلت نعم قال لا الا يوم متاح . فهنا قد نهى ان يقصر اذا رجع الى اهله في يوم هذه مسيرة بريد واذن في يوم وفي الاول نهاه ان يقصر الا في اكثر من يوم وقد روي نحو الاول عن عكرمة مولاه قال اذا خرجت من عند اهلك فاقصر فاذا أتيت أهلك فأتم وعن الاوزاعي لا تقصر الا في يوم تام وروى وكيع عن هشام بن ريعة بن الغاز الجرشي عن عطاء بن ابي رباح قلت لابن عباس اقصر الى عرفة؟ قال لا ولكن الى الطائف وعسفان فذلك ثمانية واربعون ميلا، وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء قلت لابن عباس اقصر الى منى او عرفة ؟ قال لا ولكن الى الطائف او جدة او عسفان فاذا وردت على ماشية لك أو اهل فأتم الصلاة وهذا الاثر قد اعتمده احمد والشافعي. قال ابن حزم من عسفان الي مكة بسير الخلفاء الراشدين اثنان وثلاثون ميلا قال واخبرنا الثقاة ان من جدة الى مكة اربعين ميلا (قلت) نهيه عن

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القصر الى منى وعرفة قد يكون لمن يقصد ذلك لحاجة ويرجع من يومه الى مكة حتى يوافق ذلك ماتقدم من الروايات عنه ويؤيد ذلك ان ابن عباس لايخفى عليه ان اهل مكة كانوا يقصرون خلف النبي ﷺ واني بكر وعمر في الحج اذا خرجوا الى عرفة ومزدلفة ومنى وابن عباس من اعلم الناس بالسنة فلا يخفى عليه مثل ذلك واصحابه المكيون كانوا يقصرون في الحج الى عرفة ومزدلفة كطاوس وغيره وابن عيينة نفسه الذي روى هذا الاثر عن ابن عباس كان يقصر الى عرفة في الحج وكان اصحاب ابن عباس كطاوس يقول احدهم أترى الناس يعني أهل مكة صلوا في الموسم خلاف صلاة رسول الله ﷺ وهذه حجة قاطعة فانه من المعلوم ان اهل مكة لما حجوا معه كانوا خلقا كثيرا وقد خرجوا معه الى منى يصلون خلفه وانما صلى بمنى ايام منى قصرا والناس كلهم يصلون خلفه اهل مكة وسائر المسلمين لم يأمر احدا منهم ان يتم صلاته ولم ينقل ذلك احد لا باسناد صحيح ولا ضعيف ثم ابو بكر وعمر بعده كانا يصليان في الموسم باهل مكة وغيرهم كذلك ولا يأمران احدا باتمام مع انه قد صح عن عمر بن الخطاب انه لما صلى بمكة قال ياأهل مكة اتموا صلاتكم فانا قوم سفر وهذا ايضا مروي عن النبي ﷺ في اهل مكة عام الفتح لا في حجة الوادع فانه في حجة الوادع لم يكن يصلي بمكة بل كان يصلي بمنزله وقد رواه ابو داود وغيره وفي اسناده مقال

والمقصود ان من تدبر صلاة النبي ﷺ بعرفة ومزدلفة ومنى باهل مكة وغيرهم وانه لم ينقل مسلم قط عنه أنه امرهم باتمام علم قطعا انهم كانوا يقصرون خلفه وهذا من العلم العام الذي لايخفى على ابن عباس ولا غيره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولهذا لم يعلم احد من الصحابة امر اهل مكة ان يتموا خلف الامام اذا صلى ركعتين فدل هذا على ان ابن عباس انما اجاب به من سأله اذا سافر الى منى او عرفة سفرا لاينزل فيه بمنى وعرفة بل يرجع من يومه فهذا لا يقصر عنده لانه قد بين ان من ذهب ورجع من يومه لا يقصر وانما يقصر من سافر يوما ولم يقل مسيرة يوم بل اعتبر أن يكون السفر يوما وقد استفاض عنه جواز القصر الى عسفان وقد ذكر ابن حزم أنها اثنان وثلاثون ميلا وغيره يقول اربعة برد ثمانية واربعون ميلا والذين حدوها ثمانية واربعين ميلا عمدتهم قول ابن عباس وابن عمر. وأكثر الروايات عنهم تخالف ذلك فلو لم يكن الا قولهما لم يجز ان ياخذ ببعض اقوالهما دون بعض بل اما ان يجمع بينهما واما ان يطلب دليل آخر فكيف والآثار عن الصحابة أنواع اخر ولهذا كان المحددون بستة عشر فرسخا من اصحاب مالك والشافعي واحمد انما لهم طريقان بعضهم يقول لم اجد احدا قال باقل من القصر فيما دون هذا فيكون هذا اجماعا وهذه طريقة الشافعي وهذا ايضا منقول عن الليث بن سعد فهذان الامامان بينا عذرهما انهما لم يعلما من قال بأقل من ذلك وغيرهما قد علم من قال بأقل من ذلك

(للكلام بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاصلاح الاسلامي في المغرب الاقصى

﴿ نظرة في كتاب حقيقة الاسلام وأصول الحكم ﴾

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً (*)

(٣)

وفي صفحة ١٦ وكان أبو موسى الاشعري يتجافى عن أكل الدجاج لأنه لم يعهدها للعرب لقلتها يومئذ الخ ، نقول وكذلك كان ﷺ يتجافى عن أكل المباح الذي لم يتعوده كما في قصة الضب الخ . ففي الموطأ عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة زوج النبي ﷺ فأتي بضب محنوذ فأهوى اليه رسول الله ﷺ بيده ، فقال بعض النسوة اللاتي في بيت ميمونة : أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل منه ، فقيل هو ضب يارسول الله فرفع يده ، فقلت أحرام هو يارسول الله ؟ فقال « لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » قال خالد : فاجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر اه فانظر إلى هذه الوطنية (١) الصادقة حيث يقول ﷺ « لم يكن بأرض قومي » وإلى امتناع أبي موسى الاشعري عن أكل الدجاج لأنه لم يعهدها للعرب الخ

ومن الغريب أن يتجافى الرسول وأصحابه عن أكل طعام مباح لعدم اعتياده فقط بينما نرى كثيراً من المسلمين وبعض فقهائهم وزعمائهم يتساقطون على قصاع الخنزير ومأكولات الافرنج ، ويتغالون في شراء علب المربيات والسمك والضفادع والحشرات رغماً عما يرد يوميا في الكتب والمجلات الطبية من النهي عن أكلها والتحذير من قربانها لتعفنها من جهة ولغشها بخلطها بمواد أخرى الله أعلم من أين يؤتى بها .

وفي صفحة ١٦ فانظر تجد أن النكبة انما جاءت على المسلمين من مخالفتهم ماتقتضيه الخلافة الخ ، نقول وعليه فيجب على جميع العلماء في العالم الاسلامي

(*) لصاحب الامضاء الرمزي « ١ » عيافة النفس طبيعية لا وطنية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السعي العظيم لارجاع الخلافة وبذل أعظم المجهودات لجمع مؤتمر الخلافة ثانيا وتنظيمه لانتخاب الخليفة ومحاربة الملك الطبيعي أين وجد

وفي صفحة ٤٨ « وحكم مثل هذا الاجماع أن يكون المجمع عليه عقيدة ويكون منكره كافراً [1] الخ ، نقول إن ذلك صار عقيدة راسخة عند المسلمين اهتم العلماء بها وبحثوها في مؤلفاتهم الدينية في الحديث والاصول والكلام وأودعوها حتى في التآليف التعليمية والاراجيز الابتدائيـة التي تؤلف للمبتدئين قديماً وحديثا لتنشئتهم على العلم بأنها من المعتقدات الدينية قال في الجوهرة :

وواجب نصب امام عدل بالشرع فاعلم لابحكم العقل

فالى متى يعتذر عن هـذا الاصم المتخرج من الازهر الذي يحارب الدين بالبهتان والسفسطة (إن شر الدواب عند الله الصم البكم)

وفي صفحة ٦٥ « وإن لم يكن إلا ما كان في القرآن من سياسة وإلا ما في كتب الفقه من سياسة وتقسيمه الاحكام الى مغلظة وغير مغلظة الخ » نزيد على ذلك أن كتب الحديث الستة والموطأ قد استقصت أكثر الاحكام السياسية الشرعية المدنية والجنائية ، ففي صحيح البخاري ماينا هز ٤٠٠٠ ترجمة بعضها في العبادات الايمان والتوحيد والطهارة — والصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأكثرها في الاحكام السياسية الشرعية المدنية والجنائية

ففي كتاب العلم نحو ٥٥ ترجمة ، وفي كتاب الزكاة نحو ٨٠ ترجمة ، وفي كتاب البيوع وما شاكلها كالصرف والمرابحة والسلم والشفعة والاجارة وأجور العملة ، والسماسرة ، وأهل الحرف اليدوية وشبهها ، والكراء ، والجعل والحوالات نحو ١٧٠ ترجمة

وفي المعاملات وما ألحق بها كالوكالة والشركة والمزارعة والمساقاة ، والقرض والقراض ، وأداء الديون ، والحجر ، والتفليس ، والخصومات ، والصلح ، والاصلاح ، والرهن ، والضمان ، والاقرار ، والاستلحاق ، والوديعة ، والعارية والغصب ، والاستحقاق ، والمظالم ، والكتابة ، والعتق ، والهبة ، والشهادات ، والشروط أي التوثيق نحو ٣٩٠ ترجمة ، وفي كتاب الوصايا والاوقاف نحو ٤٠

(١) هذا الاطلاق ممنوع وفي المسألة تفصيل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة ، وفي كتاب النكاح والطلاق والنفقات نحو ١٩٥ ترجمة ، وفي كتاب الاطعمة والاشربة والذبائح والصيد نحو ١٣٠ ترجمة ، وفي كتاب المرضى والطب نحو ٨٠ ترجمة ، وفي كتاب اللباس نحو ١٠٠ ترجمة ، وفي كتاب الآداب العامة كصلة الرحم والاستئذان ، وآداب الزيارة والضيافة ، والصحبة والمعاشرة ، وحفظ السر وافشاء السلام ، والتوادد و لايثار على النفس ، والتواصي بالصبر والمرحمة نحو ١٨٠ ترجمة ، وفي كتاب الجهاد وأحكامه نحو ٢٤٠ ترجمة ، وفي كتاب النكاح الخ وفي كتاب الحدود والديات والعفو عنها نحو ٩٥ ترجمة ، وفي كتاب الحيل والخداع في البيوع والمعاملات نحو ١٥ ترجمة ، وفي كتاب الاحكام والخلافة والاستخلاف نحو ٥٥ ترجمة

﴿ هذه نبذة مما اشتمل عليه صحيح البخاري رحمه الله ﴾

وقد اشتمل كتاب الموطأ على أزيد من ٦٠٠ ترجمة
وصحيح مسلم على أزيد من ١٠٠٠ ترجمة
وسنن الترمذي على ماينا هز ٢٠٠٠ ترجمة
وسنن أبي داود على ماينا هز ٢٠٠ ترجمة
وسنن النسائي على ماينا هز ١٠٠٠ ترجمة
وسنن ابن ماجه على زهاء ٢٠٠ ترجمة

هذه أمهات كتب الحديث الصحيحة المعترف بها المسلمة عند جميع أهل السنة ، أما غيرها من كتب الحديث فلا تحصى ، وكذلك كتب الاصول ومدونات الفقه لاحصر لها ، فهل مع هذا يتمادى الملحدون وأذنابهم على اصرارهم وقولهم إن حظ العلوم السياسية عند المسلمين كان سيئا ، وإن وجودها بينهم كان أضعف وجوداً ، وإنهم لم يجدوا المسلمين مؤلفا في السياسة ، ولا يعرفون لهم بحثا في شيء من أنظمة الحكم فماذا بعد الحق إلا الضلال

واذا لم يتفق للماجور علي عبد الرازق هو وأربابه الملحدون أن يطالعوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مؤلفات الاسلام وأمهات الدين، أفلم يقف على كتاب كشف الظنون وفهارس دار الكتب السلطانية وخزائن الازهر وغيره، والخزانتين التيمورية والزكية، واذا كان لم ير شيئا من ذلك فكيف ساغ له أن يهاجم حصون الاسلام المنيعة وهو خاوي الوفاض من كل شيء إلا سلاح الاتهام والقحة (ألا ساء ما يحكمون)

وفي صفحة ١٠٠ « والذي دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد انما هو مراعاة المصلحة الخ » نقول هذا الرأي هو الرأي السديد الذي أنتجته قرائح المفكرين من جهابذة العلماء فيتحتم قبوله واعتقاده[1]، وأما مافي بعض كتب التاريخ والادب من أن معاوية أغرى بعض قادة الامة ورؤساءها بأن يسألوه في المجلس العمومي أن يوصي بولاية العهد إلى ابنه يزيد كما يقع اليوم بين رؤساء الوزارات وبين أقطاب الاحزاب في أوربا وأميركا في المسائل الهامة كالانتخابات وابرام المعاهدات أو نقضها فذلك كله من الروايات المدخولة، وآت فقط من خصوم معاوية غير النزيهين ومن أعداء الامويين كذلك فلا يوثق بها أصلا

فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من الفراسة بمكان لايلحق، وكان يعلم من حال معاوية أكثر مما يعرفه غيره، فلو كان يظن به الهوادة في أدنى شيء لما ولاه أعظم قطر وهو الشام بعد موت أخيه يزيد وقد تركه في منصبه بقية حياته أي حياة عمر التي تزيد على أربع سنين

وناهيك بشدة عمر على عماله وما كان يعاملهم به من المراقبة الشديدة ومحاسبتهم على النقير والقطمير وكثرة عزلهم من وظائفهم لأقل سبب، وقد ولى معاوية مع وجود أساطين الصحابة السابقين للاسلام والمهاجرين من أجله أفلا يكون ذلك منه أعظم تزكية لمعاوية وأعظم شهادة له على حسن سيرته[2] وفي الاستيعاب عن عبدالله بن عمر قال: مارأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية، فقيل له: فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي فقال: كانوا والله خيراً من معاوية وكان معاوية أسود منهم

(١) لا يتحتم على احد اعتقاد ما انتجت قريحة غيره

(٢) حقق الحافظ بن حجر في شرحه للبخاري ان عمر كان يختار للولاية القادرين عليها ويقدمهم على من هم افضل منهم علماً ودينا وضرب المثل لذلك بتقديم معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة على علماء المهاجرين وصلحائهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي صفحة ١١٤ « وأن عصر النبي لم يخل أصلا من مخايل الملك الخ » نقول إن المخايل التى عناها الشيخ بخيت وسطرها لم يخل منها عصر النبوة نعم إنه خلا من المخايل التي يريدها أهل الفطرسة من بناء القصور الشامخة واشتمالها على الفرش الوثيرة ، والرياش الثمين ، والاواني الفضيـة المزخرفة التي يظنهـا صغار الاحلام هي عنوان الملك

وقد خلا عصر النبوة أيضا من كثرة الخدم والحجاب ، والاعوان الظلمة بالباب، وحيلولتهم بين الراعي والرعية ، ومنعهم للمتظلمين من رفع ظلاماتهم للملك وخلا أيضا من اشتغالهم بسفاسف الامور ومصاريف دار الملك التي تأخذ أكبر قسط من الميزانية على عاتق الرعيـة ، ومن اشتغالهم بغصب أرزاق الناس من اللحوم والفواكه وأطايب الاطعمة بلا ود ولا حساب

خلا أيضا من الشرطة حملة الرماح والسيوف والبنادق أمام الملك لارهاب الرعية وتعويدها على الذلة والمسكنة أمام الولاة الجائرين ممـا لم يعهد في عصره ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين فذلك وما أشبهه من المخايل الكسروية التي جاء عليه السلام لمحاربتها والقضاء عليها قد خلا منه عصر النبي ﷺ وطهره الله من أرجاسه وهناته وقد صدق الشيخ علي عبدالرازق في هذه فقط وقد يصدق الكذوب

الملاحدة بين امرين :

فظهر مما تقدم أن الملاحدة واقعون بين أمرين

(أحدهما) أن يكونوا عارفين حقيقة الاسلام وما أتى به من المنافع الدنيوية والاخروية وأنه صالح لكل زمان ومكان وأنه دين الفطرة الذي تنشـده الانسانية وتصبو اليه

إلا أن ماجاء به من بعض التكاليف الخفيفـة التي تربي الناس على الثبات والشجاعة وما أوجبه من ترك المنكرات التي تخدش وجه الهيئة الاجتماعية قد ثقل حمله على عاتقهم وجبنوا عن معاناته فحملهم ذلك على الانسلاخ منه والانحلال ، والفرار من اداء الواجبات القليلة في مقابلة مامنحهـم من الحقوق العامة ، والحرية الطاهرة النظيفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالتكاليف الخفيفة مثل الطهارة التي لا يغيب عن أحدمالهامن المزايا العظيمة وأهمها المحافظة على الصحة التي هي رأس مال الحياة

(٢) ومثل الصلاة التي أخبر سبحانه أنها شاقة على الملاحدة المبعدين فقال (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) الآية ، ولو لم يكن فيها إلا تعويد الناس على الثبات وضبط الوقت واطراح الكسل الذي هو علة الفشل لكفى

(٣) ومثل الصوم الذي فيه تعويد الناس على الصبر وتذكيرهم بما يكابده الفقراء من آلام الجوع عند اشتداد الازمات خصوصا عند انحباس الامطار وفي أوقات البرد الشديد التي يحتاج الناس فيها للأكل أكثر من أيام الحر فجوع الصائم يحمله على رحمة الضعفاء واعانتهم على مكاره الحياة ويفتح قلبه لولوج نسمات الرحمة والرأفة بالمحتاجين

(٤) أما الزكاة فقد حسدنا عليها عقلاء الاوروباويين وفلاسفتهم حتى قال لي أحدهم لو كانت مشروعة عندهم لما سمعت بالاشتراكية والشيوعية أبداً ولما وقعوا في مصائب الاعتصابات المتوالية

ولو أخرجت لما هي عليه لم يبق الفقر المدقع معروفا عند المسلمين ولا نعدم الحقد والحسد أو خفت وطأتهما على الاقل

(٥) وأما الحج ففوائده بارزة تكاد تلمس باليد فالاسفار عند الافرنجيين لاتنقطع صيفاً وشتاء وهي التي اكسبتهم ماهم فيه من الرخاء ـ وبسطة العيش زيادة على مايكتسبه المسافر من الارباح ان كان تاجراً والعلوم ان كان مفكراً وباحثا وزيادة على ما ينعم به من الصحة التامة والنزهة البهجة

هذه بعض فوائد التكاليف الاسلامية التي عمي الملحدون عن ادراكها وعجزوا عن احتمالها لضعفهم وجبنهم وقد عد الغزالي كثيرا من أسرارها في كتابه الاحياء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محاضرة مستر كراين

عن جزيرة العرب — أو — الحجاز واليمن

في جمعية الرابطة الشرقية

(٢)

مدينة سواكن

زرت بعض الموانى الواقعة على الشاطىء الغربي من البحر الاحمر وكان القصد من هـذه الزيارة مشاهدة مدينة (سواكن) القديمة التى اعتاد الحجاج أن يأتوا اليها من قلب افريقية ليبحروا منها الى مـكة وكانت قديماً بلدة تجارية عظيمة ولكنها اليوم خالية خاوية . ولا تمر بعض السـنين عليها حتى تنعق فيها البوم والغربان ، وذلك بسبب مزاحمة بور سودان ومصوع لهـا ، ويوجد في ضاحيتها قريتان من القش واصل سكانهما من الحجاج الذين انقطعوا في الطريق ولم يصلوا لا الى مكة ولا الى بلادهم ، وكانت علامات الفقر الشديد بادية عليهم فلا زراعة ولا صناعة لهم ولاهم يتقنون كاهل الساحل صيد الاسماك .

﴿ الكلام على اليمن ﴾

من الحديدة إلى صنعاء

ذهبت من مصوع الى الحديدة ميناء صنعاء وقد أعد لي الامام جميع أسباب الراحة واستقبلني حا كم الحديدة أحسن استقبال . وهذه البلاد اليمانية الاسلامية العجيبة منزوية عن العالم أكثر من القطب الشمالي ولايزال طراز الحياة فيها كما كان عليه قبل مئات السنين ولكنه يختلف كثيراً عنه في نجد .

لوجود جبال عالية بين صنعاء والحديدة ركبنا في رحلتنا البغال لان البغال تسلك حيث لاتسلك الخيل ولا الجمال . وبعد ما انقضى على سفرنا من الحديدة يومان ابتدأنا نشاهد هندسة البناء في اليمن تختلف اختلافا كليا عن هندسة البناء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الحجاز وقد شاهدنا في طريقنا حقول شجر البن في بطون الجبال والوديان . إن هندسة البناء في جدة ومكة والمدينة متقنة وجميلة ، وتدل نوافذها الكثيرة الواسعة وأبوابها الكبيرة التي تفتح وتغلق بسهولة على حب القوم للضيافة ، وعلى عراقتهم في المدنية وميلهم إلى ضبط الامن ، بعكس اليمن التي تدل عزلة قراها وانفرادها في الاماكن العالية الوعرة التي لا يصل الانسان اليها إلا بصعوبة على خوف اليمانيين من غزو بعضهم بعضا وعلى عدم استتباب الامن [1] وتشبه ابنية هذه القرى القلاع الحصينة والدور الأول منها يخصص للحيوانات والدور الثاني للحبوب والذخيرة ولا يوجد في هذين الدورين منافذ للنور ولا الهواء وأما الادوار الباقية وهي عادة اثنان فما فوق فتخصص للسكن ونوافذها صغيرة جداً لا يكاد يدخل منها الهواء ولا النور وجميع هذه الاعمال تدل أن تلك الابنية بنيت على هذا الشكل قصد الدفاع عن النفس .

ومن المعلوم أن القطرين اليمن والحجاز يختلف بعضهما عن بعض اختلافا عظيما ففي الحجاز سهول واسعة وصحار مقفرة وأما اليمن ففيه الجبال المرتفعة والوديان المنخفضة [2] وتختلف الحياة الاجتماعية فيهما اختلافا عظيما فالحجاز المقدس بنظر المسلمين تأتيه الحجاج من جميع أطراف المعمورة سنويا لقضاء مناسك الحج ولذلك ترى أهل الحجاز مضطرين بحكم الضرورة الى ضمان راحة الملايين من المسلمين بعكس البلاد اليمانية التي كانت ومازالت مغلقة في وجه جميع سكان الارض وقلما يأتيها الزوار أو السياح وأهلها يخشى بعضهم من بعض ويخشون الدسائس التي يدسها لهم جيرانهم فلذلك تراهم معتادين شظف العيش ومعتصمين بالقلاع في رؤس الجبال .

على أن الامام أعد لي جميع وسائل السفر وكنت أينما حللت بالمساء أجد غرفة معدة لنزولي بها ولكنني اضطررت أحيانا الى النزول في بعض الخانات القديمة الواقعة على طريق القوافل بين عدن والقدس . ولهذه الخانات أبواب ولكن

---

(١) المنار: إنما كان اكثر خوف اهل اليمن من الترك الذين ظلوا يغزونهم اربع قرون

(٢) في الحجاز من الجبال والوديان مثل ما في اليمن وإنما الفرق بين القطرين ان اليمن قطر كثير النبات والشجر خلاف الحجاز

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لانوافذ لها وفيها ممر طويل وغرفة واسعة خصص قسم منها بالحيوانات والقسم الآخر بالعائلة صاحبة الخان وبديهي أن كثيراً من الاولاد يولدن في هذه الخانات وقد خطر لي عند مارأيتها أن المسيح ولد في مزود خان كهذه الخانات .

إن المناظر الطبيعية بين الحديدة وصنعاء جميلة للغاية وقد مررنا بطرقات تعلو تسعة آلاف قدم عن سطح البحر ونزلنا في وديان عميقة حارة وقد وصلنا الى صنعاء في الليل على حين غرة ولما كانت الشوارع لاتضاء بالأنوار وصلنا الى الدار المعدة لسكنانا بصعوبة شديدة على ماكان من معونة أنوار الجند لنا . وأما الدار التي نزلنا بها فهي مؤلفة من دورين مبنيين بناء حديثا جيداً وفيها حديقة تبلغ مساحتها أكثر من فدان أرض وقيل لنا إن هذه الدار بيعت منذ بضعة أشهر بمبلغ (١٥٠) ريال أميركي أي ثلاثين جنيها مصريا . وقد أخبرنا بعض الجنود الذين رافقونا في الطريق أن الجندي منهم يتناول راتبا يبلغ ريالين ونصف أميركيين في الشهر ويتناول ثلاثة أرغفة من الخبز لايبلغ وزنها تسعمائة غرام ولا يأكل الجند تقريبا غير الخبز ولكن بعضهم يشتركون مع بعض أحيانا ويبتاعون شيئا من اللحم ويطبخونه لانفسهم مرة أو مرتين في الاسبوع ومن العجب العجاب أن يرى الانسان هذه الجنود رغم تناولها المقادير القليلة من الغذاء تحمل البنادق الثقيلة وتتمنطق بالعتاد الكثير وتركض على أرجلها مسافات شاسعة غير مبالية بالتعب أو شاعرة بالجوع .

زارنا ذات يوم أحد أمناء سر الامام المدعو محمد راغب بك وهو تركي الاصل ولد في القسطنطينية وترعرع في ضواحي البوسفور قرب المدارس الاميركية التي لي بها علاقات منذ زمن بعيد وقد حدثني عنها حديثا طويلا ومما قاله إن بعض أقربائه درسوا فيها وهذا كان لحسن حظي إذ أدخلني الى حالة الوئام مع حضرة الامام وكان باستطاعته أن يتوسط بيننا بطريق حكيمة .

وفي اليوم الثاني قابلنا الامام على انفراد في غاية الحفاوة والاكرام فقال لي إنه يؤذن لي أن آذهب حيث شئت بتمام الحرية وأن آخذ رسم ماأريد أيا كان ماعدا رسم شخصه . وأنه لم يسمح لأحد غيري قدر ماسمح لي من الحرية في صنعاء .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن الامام في أوائل العقد الخامس من عمره قوي البنية نشيط الحركة ولما كانت ولاية حكمه ضيقة الرقعة كان شديد الرغبة في أن يتولى ادارة شؤونها كلها بيده من جليلها الى حقيرها . فهو يجلس كل صباح في مجلس يقصده فيه من يشاء ليسأل ما يشاء ويعرض مالديه من أنواع الشكاوي والدعاوي . وعلاوة على ذلك فانه يذهب يوميا الى أحد الاماكن العامة دون حارس ولا تابع من الجند فيصرف فيه نحو ساعة وقد يكون منفرداً تحت أشعة الشمس ولا يرافقه إلا رجل بمظلة الشمسية حيث يستمع الدعاوي وينظر في المعروضات المرفوعة اليه فهو بذلك جامع في شخصه بين مقامي السلطان والخليفة معا مستمداً قوة نفوذه من أنه سلالة الامام علي الصحيح الخلافة .

وأما ساعة ذهابه الى المسجد يوم الجمعة فتلك ساعة خطيرة الشأن جلالا وبهاء يشترك في اقامة معالمها الناس أجمعون ، لانه يوم المهرجان كل أسبوع . وعندما يمر راكبا في العربة عائداً من الصلاة فلأقل إشارة يبديها أحد الشعب يقف المركبة ليتقبل أي معروض أو يعني بأي أمر يرى الناس فيه على أتم استعداد لقبوله والخضوع له .

وفي المملكة اليمانية جيش نظامي وجند من المتطوعة وكثيراً ما يشتركان بالانشاد العسكري يضجان فيه بأصوات خشنة وهو يتضمن أبياناً يرنمون بها بما أعطوا من قوة وحماسة ويقال انها أنشودة قديمة العهد :

ثم إن الامام وإن أبدى لي حين مقابلته مزيد المجاملة وأباح لي الحديث على غاية الاخلاص ـ لم ير من الحكمة أن يظهر فرط العناية بي أمام الجمهور ، إذ كان من الضروري له أن يحتفظ بمقام الاستقلال العظيم بل بشيء من الاستخفاف بالاجانب مراعاة القبائل الحربية المتعصبين في الحدود الشرقية من البلاد . فان سلطانه وأحكامه نافذة في مملكته نظير ابن السعود لمجيئها عن طريق الدين وعليها مسحة من الشدة فيه كأنه يتخذ في السلطة نوع الحكم المتحد المزدوج . لانه مع كونه زيدي المذهب شخصيا ومدار أحكامه على هذه القاعدة ، فان ثلث

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شعبه [١] على جانب البحر الاحمر من أهل السنة ومنهم عدد معين يشغل بعض المقامات الصغرى في حكومته .

الضرائب

أهل اليمن من ذوي الفقر والبؤس الشديد ، ولكنهم لانزوائهم في بقعتهم وانحباسهم عن العالم الخارجي لا يشعرون بهذه الحال . وإن المرء ليأخذه العجب كيف يستطاع في هذه الفاقة أن تفرض الضرائب على اليمنيين وتجبى الى الحدّ المؤذن باقامة حكومة ولا سيما في تجهيز جيش في تلك المملكة كبير . ذلك لاريب عائد الى حذق من الامام فريد . والظاهر أن معظم واردات الحكومة هو من ضريبة العشر المفروضة على الحاصلات في عامة أنواعها ، على أن الناس باحوا لي أن العشر قد يترقى بعصرهم والتضييق عليهم الى الربع ! وانهم لذلك متألمون ناقمون

المباني

قل أن ترى في مباني اليمن مايقل عن ست من الطباق (أو الادوار) وأما البناء فعلى درجة عظيمة من مخالفات الجمال ولم أر إلا القليل مما يدل على حسن الذوق سواء أكان في هيئة البناء أو مواده أم في ملابس الناس وغنائهم . وإنما يستثنى من ذلك بناء الجوامع . فان منها عدداً يبدو فيه شيء من الجمال النسبي على ما فيه من بساطة الهندسة والرسم خلافا لبناء المنازل . وبعض تلك الجوامع يرجع تاريخ تشييدها الى عدة قرون وقد ظننت لاول الامر ان البنائين أتوا من القسطنطينية لهندستها وبنائها ، ولكنهم أكدوا لي أن كلا الامرين من صنع أهل البلاد أنفسهم

تعرفي الى الناس

لم يكد يستقر بي المقام في صنعاء حتى بادر الى زيارتي الجم الغفير من أهلها . وكلما أردت أن ادرس وجهاً من وجوه حياة اليمن كان أمري ينتشر بين الطبقات فكان يوافيني واحد أو جماعة من أهل ذلك الشأن : فقابلت الرؤساء للبنائين

(١) المنار : كذا في نسخة الترجمة التي اخذناها من الرابطة الشرقية والصواب الاكثرية الساحقة من سكان تلك السواحل شافعيون ويندر وجود الزيدية فيها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والتجار ورجال العسكرية ولا سيما العلماء وفيهم القاضي الكبير الذي يحمل سمة المسلم التاريخي القديم وبلغ بيننا التعارف مبلغه حتى أقبل لزيارتي المرار العديدة . ولقب (القاضي) في اليمن له معنى خاص فانه يطلق عادة على طائفة ممتازة من جميع طلاب العلم كما أن كلمة (شيخ) تستعمل كذلك في الشمال

سبأ وسد مأرب

كنت شديد الرغبة في الرحلة الى سبأ وعلى الخصوص لمشاهدة السد القديم الذي كان مصدر خصبها وزهوها . ان مؤسس هذه المدينة هو (عبد شمس) الذي ابتدع عبادة البعل أو الشمس ثم أضاف اليها القمر وخمسة كواكب سيارة أخرى فتم بذلك عددها أي السيارات السبع فكان هذا العدد أصل تلك المدينة (سبأ) وقد بنى أيضاً سداً عظيما بين جبلين بحيث ينشأ بهخزان من الماء يحيي المدينة وماحولها من الارجاء ويهب لها الخصب والنماء

ثم بعد ١٥٠٠ عام تصدعت جوانب السد فطغى الماء على المدينة وماجاورها من البلاد ودمر كثيراً من القرى ولعل هذه الكارثة كانت أصلا لحديث (الطوفان)

وأما الامام فمع أنه شديد الحرص على إعطائي كل ما أطلب الا انه قال لي في شأن هذه الامنية إن هذه الرحلة من المستحيلات ومع أن سبأ لا تبعد عن صنعاء اكثر من ٧٥ ميلا فهو لم يتمكن من الذهاب اليها الا بعد أن اتخذ اشد الاحتياط لما أن قبائل تلك الناحية على أعظم جانب من التعصب «الذميم» يعدون ذواتهم حراس الكنز العظيم المقدس الباقي من آثار تلك العاصمة القديمة فلا يأذنون لاجنبي أن تطأها قدمه أو يقترب منها ومما قال لي الامام إن بعثة ألمانية ذهبت للبحث في تلك الناحية قبل الحرب العالمية فلم يبق البدو على أحد من رجالها

حفلة استقبال لرجوع ابن الامام من سفره

لم ينقض على نزولي صنعاء عدة أيام حتى ورد نبأ بمجيء ابن الامام ولي عهد امامته بعد يوم واحد . وكان غائبا عنها ثلاث سنين على رأس فرقة من الجند في القسم الشمالي من البلاد أي (صعدة) حيث يتشعب الطريق شعبتين إحداهما تتجه الى مكة والاخرى الى نجد ، فكانت عودته بالطبع حادثة ذات شأن. فخرجت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى بعد خمسة أميال من المدينة مع اكثر الاهالي ولاسيما الجيش ووقفنا لاستقبال القادم الكريم على احسن مايقال في الاجلال والاحتفال مما يدل على سمو مكانة ذلك الشاب عند عامة الشعب ذلك أن الامام انما يرتقي سدة الامامة والحكم بانتخاب العظماء من شيوخ البلاد في اجتماع خاص . ولما كان ولي عهده في الحكم احد بنيه الاحياء حق له هذا الاحتفاء والاكرام

وبعد قدوم ذلك الامير الخطير بايام زرته فتوسمت فيه مخايل الحزم والعزم ودلائل الجد في الأعمال على شخصية جذابة ولكنها على صورة أضعف من شخصية والده العظيم (للكلام بقية)

نساء العرب السياسيات

مقتبس من كتاب سيرة السيدة (خديجة أم المؤمنين)(*)

للشهيد الشهير السيد عبد الحميد الزهراوي (رحمه الله تعالى)

ولقد كان كثير من نساء العرب يشاركن في السياسة والامور العمومية وناهيك أن الحرب التي ظلت مستعرة نحواً من اربعين سنة بين بني ذبيان وبني عبس لم يتفكر فى اطفاء نارها الا امرأة ولم تتمكن من اطفائها الا بما لها من المكانة وحسن الرأي وذلك ان بيهسة بنت أوس ابن حارثة بن لام الطائي لما زوجها ابو هامن الحارث بن عوف المري وأراد ان يدخل عليها قالت اتتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضها بعضا؟ـ تعني بني عبس وبني ذبيان ـ فقال لها ماذا تقولين؟ قالت «اخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ثم ارجع اليّ» فخرج وعرض الامر لخارجة بن سنان فاستحسن ذلك وقاما كلاهما بهذا الامر فمشيا بالصلح ودفعا الديات من أموالهم

(*) هذه السيرة خير ما كتب فقيدنا الشهيد انشاء وابتكاراً وبياناً لفضائل العرب بالتبع لفضائل فضلى نسائهم بل نساء العالمين مع ابنتها سليلة الرسول ومريم البتول ـ وهي تطبع للمرة الثانية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحسبك من اشتهرن من العربيات في السياسة منهن اللاتي كن من شيعة الامام علي ايام مناصبة معاوية له كسودة بنت عمارة بن الاشتر الهمدانية، وبكارة الهلالية ، والزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ، وام سنان بنت جشمة بن خرشة المذحجية، وعكرشة بنت الاطرش بن رواحة، ودارمية الحجونية ، وام الخير بنت الحريش بنت سراقة البارقي . واروى بنت الحارث بن عبد المطلب الهاشمية .

وفدت سودة على معاوية بعد موت علي فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت سودة فقال لها كيف انت يا ابنة الاشتر ؟ قالت بخير يا امير المؤمنين . قال لها : آنت القائلة لأخيك ؟

شمّر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الاقران

وانصر عليـاً والحسين ورهطه ... واقصد لهنـد وابنها بهوان

ان الامام أخا النبي محمـد (١) ... علمُ الهدى ومنارة الايمـان

فقُدِ الجيوش وسر أمام لوائه ... قدما بأبيض صارم وسنان

قالت يا امير المؤمنين « مات الرأس ، وبتر الذنب، فدع عنك تذكار ماقد نسي » فقال «هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسى» قالت «صدقت والله يا امير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ، ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وان صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسـه نار

وبالله اسألك يا امير المؤمنين اعفائي ممـا استعفيته » قال قـد فعلت فقولي حاجتك : فقالت يا امير المؤمنين « انك للناس سيد ، ولأمورهم

(١) اخوة الدين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقلّد ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخسيسة ، ويسألنا الجليلة ، هذا ابن ارطاة قدم بلادي، وقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولو لا الطاعة لكان فينا عزومنعة، فإما عزلته فشكرناك ، وإما لا فعرفناك » فقال معاوية « اياي تهددين بقومك؟ والله لقد هممت ان أردك اليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك» فسكتت ثم قالت :

صلى الاله على روح تضمنه قبرفأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال: ومن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى : قال ماأرى عليك منه أثراً قالت : بلى أتيته يومافي رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه مابين الغث والسمين فوجدته قائما فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه الى السماء فقال « اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا ترك حقك » ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين * بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ) اذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام» قال معاوية اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها فقالت « ألي خاصة أم لقومي عامة ؟ فقال ما انت وغيرك ؟ قالت: هي والله الفحشاء واللؤم ، ان كان عدلا شاملا وإلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يسعني مايسع قومي . قال اكتبوا لها بحاجتها

ووفدت بكارة الهلالية أيضا على معاوية بعد موت علي فدخلت عليه وكان بحضرته عمرو بن العاص ومروان وسعيد بن العاص فجعلوا يذكرونه بأقوالها التي قالتها في مشايعة علي ومعاداة معاوية فقالت أنا والله قائلة ماقالوا وما خفي عنك مني أكثر :فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك

وكتب معاوية الى عامله بالكوفة ان يوفد اليه الزرقاء ابنة عدي بن قيس الهمدانية مع ثقة من ذوي محارمها وعدة من فرسان قومها وان يوسع لها في النفقة فلما وفدت على معاوية قال مرحبا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك ؟ فقالت بخير ياأمير المؤمنين ثم قال لها ألست الراكبة الجمل الاحمر والواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك؟ قالت ياأمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب، ولا يعود ماذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والامر يحدث بعده الامر .قال لها اتحفظين كلامك يومئذ ؟ قالت لا والله لا احفظه قال لكني أحفظه وتلا عليها خطبة من خطبها التي هي في منتهى البلاغة ثم قال لها والله يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه قالت احسن الله بشارتك وأدام سلامتك ؟ فمثلك يبشر بخير ويسر جليسه ، قال أو يسرك ذلك ؟ قالت نعم والله ، فقال والله لوفاؤكم له بعد موته ، أعجب من حبكم له في حياته ، اذكري حاجتك فقالت ياأمير المؤمنين آليت على نفسي ان لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا . ومثلك من أعطى من غير مسألة ،وجاد عن غير طلبة. قال صدقت وأمر لها وللذين جاؤا معها بجوائز

ووفدت عليه أيضا أم سنان بنت جشمة وعكرشة بنت الاطرش ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما حج سأل عن دارمية الحجونية فجيء بها اليه فقال لها بعثت اليك لاسألك علام أحببت عليا وابغضتني ، ووليته وعاديتني ؟ فاستفهته فلم يفعل فقالت له احببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر ، وطلبتك ماليس لك بالحق ، ووليت عليا على حبه المساكين ، وإعظامه لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى . ثم قال لها : ياهذه هل رأيت عليا؟ قالت إي والله قال فكيف رأيته؟ قالت رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك . قال فهل سمعت كلامه؟ قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست . قال صدقت فهل لك من حاجة ؟ قالت نعم تعطيني مائة ناقة حمراء ، قال ماذا تصنعين بها ؟ قالت أغذو بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، واكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر ، قال فان أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب ؟ قالت سبحان الله أو دونه ، فقال أما والله لو كان علي حيا ما أعطاك منها شيئا قالت لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

وكذلك وفدت عليه أم الخير بنت حريش من الكوفة ووفدت عليه أروى بنت الحارث وجرى لهما معه حديث من مثل ماتقدم

فهكذا كان مقام المرأة العربية ، من أخوات سيدتنا القرشية ، وهكذا كان حظهن من الفصاحة والحصافة ، ومبلغهن من المشاركة في الامور العمومية والاخذ بالاسباب ، والمشايعة لبعض الاحزاب ، وما أتينا الا باليسير توطئة لمعرفة مقام السيدة خديجة في قومها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطبة الاستاذ أسعاف أفندي النشاشيبي

مفتش معارف فلسطين وعضو المجمع العلمي العربي في الشام

القيت في دار الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة

العربية وشاعرها الاكبر أحمد شوقي بك

ليست دار العربية رمال الدهناء أو هضبات نجد أو الحجاز أو اقليم الشام أو أرض العراق بل دارها كل مكان ينطق بالضاد أهله ، ويتلو فيه كتاب محمد (صلوات الله عليه) قراؤه . وأقوى القوم عربية بل العرب العرباء أعرفهم بأدب العربية . فأهل مصر إذاً هم القبيل المقدم في العربية وهم سادات العرب

وليست اللغة العربية يا أيها الراجع من لندن أو من برلين أو من باريس وقد لبث في تلك المدائن حينا فتنته مدنية المغاربة السحرة ليست اللغة العربية بلغة بدوية ، بلغة صحراوية ، حتى تعرض عنها إعراضك هذا وحتى تؤثر عليها غيرها حين جهلتها ، ولكنها لغة سامية (ان كان ثمة سام) قد نشأت من قبل في جنات النعيم عند دجلة ولم تنبت في القفر فتظمأ وتضحى ، وقد جاورت كل ذات مدنية « وإن العلا تعدي » كما قال أبو تمام ، وقد سطر أيوب الصابر بها في ذلك الزمان سفره أو قصيدته (كما قال فولتير في المعجم الفلسفي) وسفر أيوب أجمل سفر في التوراة ، وأيوب العربي كهوميروهو من أكبر شعراء العالم

ثم جاءت هذه اللغة مواطن الحجاز (وكم في الهجرات من خيرات) فنشأها الدهر هنا أفضل تنشئة وهذبها خير تهذيب . وإن البيئة التي أخرجت في الدنيا عظيمها هي التي جلت لغته ولن تكون لغة ذلك العظيم لغة محمد إلا عظيمة . على أن قد تخبث البيئة بعد طيبها وصلاحها فلا تقذف إلا خبثا « والذي خبث لا يخرج إلا نكداً » كما قال الله

ليست العربية بلغة بدوية صحراوية (كما قالوا لك) بل هي اللغة الحضرية كل الحضرية بل هي (إن استكثرت هذا النعت) لغة الاناسية الكملة الألى سوف يخلفون هذا الانسان بعد ازمان كما خلف هو قدما الذين هم أدنى منه من جماعة الرباييح المحاكية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقد دعا العربية من قبل قرآنها(وهو القرآن هو القرآن)لتكتب معجزاته فما وهنت ولا عجزت ولا ضاقت بل اتسعت وهذا الكتاب وهذه آياته وهذه ألفاظ في المصاحف تتكلم وهذه معاني الكتاب، الكتاب العبقري، كتاب الدهر، قد تجسدت وتجسمت وعهدنا بالمعاني معنوية لاتتجسم . فلن تعجز لغة كتب بها الله(١) كتابه عن أن يكتب بها البشر

ولقد دعا العربية في الزمان الاول كل علم وكل فن — ولا كتاب علم واحداً عند القوم في ذاك الوقت — فلباهما منها خير ندب وخير ظهير ، وشهد الاقوام في برهة من الدهر أكداسا من الكتب مكدسة بل اجبالا . قال غستاف لوبون في فاتحة كتابه مدنية العرب : (إذا بحث الباحث عن آثار العرب في العلم وعما ابتدعوه علم ان ليس هناك أمة ضارعتهم فجاءت في الزمن القصير بمثل صنعهم الكبير)

فلو لم يك عند العربية غير ما كر من الثروة في اللفظ والاسلوب ما أنفقت هذا الانفاق على علوم أصحابها وعلوم سواهم والفقير المسكين في الدنيا (ياصاحب) لايقدر أن يعول نفسه بله أن يمون الناس

وقد أغرق التتر طوائف من تلكم الكتب في النهر وحرق الاسبان نفائس منها بالنار لكن الباقي (والحمد لله) كثير . وجلت العرب عن أن تجرم إجرام ذينك الجيلين . وكذاب أي كذاب من قال انا حرقنا دار كتب في الاسكندرية. وكيف يقرفنا القارفون بهذا ظلماً وما ندب الناس إلى العلم كمثل كتابكم كتاب ؛ ولا دعا إلى التفكير وحب الدنيا كزعيمكم محمد زعيم

وآوى إلى هذه العربية في آونة كثيرات كل أديب وكل عالم وكل شاعر وكل كاتب فبوأت معانيهم في أكرم مبوأ وألبستها أفتن ثوب وقرتها (وهي المضيافة وهي الكريمة بنت الكرام) خير قرى فاجتلى الناس من تلكم المعاني السماويات، في هذى الحلل العدنيات، حوراً عينا رضوانيات

فاذا لاقيتم في عصور المولدين أو في عصور المتأخرين قبحا في القول بغض الأذن أن تسمعه وتقتحمه العين إما أبصرته

(١) في الاصل إله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا ألفيتم كلاما بهرجا قد وهت أعضاده وتشوه تركيبه وفقد ذاك الرونق

وإذا وجدتم شعراً سخيفا قد عمّيت معانيه ، وقد استعجم على تاليه

وإذا سمعتم سجعا غير طبيعي مرتجا زحافا متدحرجا قد لعنته العربية

إذا وجدتم ذلك فلا تلومن العربية ولا تتنقصنها، ولوموا أمة ضعفت فضعف قولها، وذلت فذل شعرها، وحارت في دنياها فاستحار كلامها

لاتلوموا العربية ولوموا أمة ركضت إلى الدعة (قبح الله الدعة) ثم قعدت

ليس المروءة أن تبيت منعما وتظل معتكفا على الاقداح

ما للرجال وللتنعم إنما خلقوا ليوم عظيمة وكفاح

« والحركة (كما قالوا) ولود والسكون عاقر » وقد قال أبيقور : أي معنى للكون بالسلم لفقدان الحركة ولام هذا الحكيم (المظلوم والله بتلك التهمة) هومير حين سأل الآلهة أن تصطلح كي تزول الحروب

اذ المرء لم يغش الكريهة أوشكت حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

وفريد ريك نتشه ، يرى أن عمل الرجال إنما هو القتال وعمل النساء هو تمريض الجرحى ولاعمل لها غير هذا .

وليس القصد يابني أن تغلب أو أن تغلب بل القصد أن تكون حرب ، أن تكون حركة

ألا أيها الباغي البراز تقربن أساقك بالموت الذعاف المقشبا

فما في تساقي الموت في الحرب سبة على شاربيه فاسقني منه واشربا

لاتلوموا العربية ولوموا أمة تعبدها حاكمها وتفرعن عليها و « استجار كيدها وعدا مصالحها » كما قال ذاك الشيخ فلم تغضب ولم تمش اليه بالسيف . وقد علم أوائلها التلميذ الثاني لشائد الوحدة العربية طريقة تقويم الملوك

لاتلوموا العربية ولوموا أمة صغرت هممها وتضاءلت عزائمها وتهزعت (تكسرت) أخلاقها (يا أسفى على صوادق الاخلاق يا أسفى على الاخلاق الجيدة) وكان ابن الخطاب يقول لها : « ولا تصغرن هممكم فاني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم » وكان معاوية كاتب وحي النبي يقول . « ياقوم إن الله قد اختاركم من الناس وصفاكم من الامم كما تصفى الفضة البيضاء من خبثها فصونوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أخلاقكم ولا تدنسوا أعراضكم فان الحسن منكم أحسن لقربكم منه ، والقبيح منكم أقبح لبعدكم عنه »

لا تلوموا العربيـة ولوموا أمة اجتزأت بالقليل وقنعت من دهرها بالدون وأنامها (قتلها) هذا القول الخبيث الافيوني الـكوكبي « القناعة كنز لا يفنى » وكانت ماترضى قبل من شيء الـكثير ، وكانت ماتقبل حالا وسطا ، لاشيء أو كل شيء كما يريد نقشه

ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

* * *

وقالوا : عليك وسيط الامور فقلت لهم أكره الأوسطا

وكان دستورها في دنياها « القناعة من طباع البهائم » و « عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة » أي بجسام الامور .وصاحب هذا القول الـكريم هو ابن مصر صاحب رسول الله سيدنا عمرو بن العاص (سلام الله عليه ورضوانه)

وقد راع تقهقر هذه الأمة وتدهورها حين تقهقرت، وتدهورت شاعريها الا كبرين في عهد انحطاطها فأنكرا الحال واستفظعاها وراح ابن الحسين يقول :

أحق عاف بدمعـك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدم
وإنما النـاس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عنـدهم ولا حسب ولا عهود لهـم ولا ذمم
في كل أرض وطئتها أمم ترعى بعبـد كأنها غنم

وقعد رهين المحبسين في كسر بيته :

يكفيك حزنا ذهاب الصالحين معاً وأننا بعدهم في الارض قطان
ان العراق وإن الشام مذ زمن صفران مابهما (للعدل) سلطان
ساس الانام شياطين مسلطة في كل قطر من الوالين شيطان
من ليس يجهل خمص الناس كلهم إن بات يشرب خمراً وهو مبطان
متى يقوم (زعيم) يستقيد لنا فتعرف العدل أجبال وغيطان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلوا بحيث أردتم فالبلاد أذى كانما كلها للابل أعطان

فليست اللغة العربية (والحالة في تلكم العصور كما سمعتم عنها) بمستأهلة أن تلام أو أن تعاب فانها لابست ضعفاء فلبست كماء ضعف ، وعاشرت وضعاء فارتدت شعار ضعة ، وما الضعف وما الضعة (والله) من خلائقها

ولو استمرت تلك القوة ولو استمرت تلك المدنية ولو لم يكن ما كتب في اللوح أن يكون لملأت بدائع العربية الدنيا، فانها لمعدن البدائع، ومنجم كل عبقري رائع

على أن لغة العلم في العربية (وللعلم لغة وللأدب لغة) لم تضم ضيم أختها . وما المقاصد والمواقف وشرحاهما وأقوال ابن الخطيب ومقدمة ابن خلدون (على مغربيتها) وكلها في العصور المتأخرة بالتي تدم (في أسلوب اللغة العلمي) جملتها

ويخيل الي أن نفوس الحكماء العلماء تكون في أحايين الضعف أقوى من نفوس الادباء ، فلا تهن وهنها، ولا تهون هوانها ، أو كأن العلماء في الدنيا ، وليسوا في الدنيا ومن الناس وليسوا من الناس . وقد يلاقي هؤلاء القوم المساكين ربهم ولا أثر لحوادث دهرهم فيهم ، وقد يتقحمون ميادين الحياة فيتأخرون ولا يتقدمون وكل منهم ينشد متحسراً :

وأخرني دهري وقدم معشراً على أنهم لا يعلمون وأعلم

يئست من اكتساب الخير لما رأيت الخير وفر للشرار

وربما لبسوا التبان للمصارعة فيصرعون . وقد نازل أمس صاحبنا (ولسن) ذينك العفريتين لويد جورج وكامنصو فعقلاه عقلة في السياسة شغزبية[1] فصرعاه سريعا (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) كما قال الله . وأضحى عند جميع الناس ضحكة ثم قضى كمداً

أين الامم المحررة يا ولسن ؟

ليست العربية ياسادة بالمقصرة ولا العاجزة وليس الضعف وليس العجز وليس القبح من طبائعها

(١) الشغزبية بالراء وبالزاي اعتقال المصارع رجله برجل خصمه وصرعه إياه بذلك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد كانت تنشد في هذا الدهر الاطول في ارجاء الارض كافة هما بعيدات، ونفوسا سريات أبيات، وارتقا. في أمة عربية وعلاء، كما تتجلى في الدنيا تجليها، وكي تضيء كعادتها إضاءتها، فلما الفت في أرض مصر مرغبها، لما وجدت (محمداً ومحموداً) ظهرت بل ائتلقت بل قد تحاقر عند ضياها نور الشمس فكان (يوم التجلي) كما يقول اخواننا النصارى وكان عيده. وأصبحت الدنيا وقد علت كلمة العربية وأعلن الدهر سلطانها

وغدا محمود سامي يحمل علم الشعر ويبشر الحال برسول في الفريض يأتي من بعد محمود اسمه (أحمد) ولا تسأل يا هذا قوة سامي الشعرية أن تعطيك أكثر مما أعطتك فبحسبك ما أخذت وحسب الرجل ماجاء منه

ولاتجود يد إلا بما تجد

وغدا الشيخ محمد عبده يحمل علم التثريد جمال الدين عند محمد وعند العربية وعند مصر وعند المشرق لاتكفر

فاذكر في الكتاب جمال الدين

وأثن عليه بالذي هو أهله ولاتكفرنه لا فلاح لكافر

إن جمال الدين لم يك شخصا فذاً، إن جمال الدين كان أمة. وانه لم ينتبه من أمم الشرق في ذاك الوقت الا أمتان لاثالثة معهما الاولى هي الامة اليابانية والامة الثانية هي جمال الدين. فجمال الدين أمة وحده

وقد أراد ابن الحريري في البدء أن يقتل الامام فنجاه كتاب الله وحديث رسول الله منه. فارجع يا فتى إلى أسلوب القرون الثلاثة الاولى — إلى الاسلوب الطبيعي العربي — الى الأسلوب الباريسي — إلى أسلوب القرن العشرين بل الثلاثين بل الاربعين، وانبذ انبذ مقامات الحريري ومقامات الهمذاني وما شاكلها، ولا تتصفحنها إما ابتغيت تعرفها، إلا خائفا، وحذار يك أن يستعبدك متقدم في الزمان أو متأخر، وإياك وأن تقلد في القول أحداً، فالمقلد عبد ولا يرضى بالعبودية حر، والعاقل لا يهب كينونته لسواه، وإن ساواه أو علاه؛ وبعضهم لا يهبها لله (عز وجل) والتقليد عدم، والاستقلال كون، فلا يؤثر على الثاني الاول الا أحمق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد دارت حول الاستاذ الامام « العبارات الفقهية والقوانين العلمية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة » كما يقول ابن خلدون فما استطاعت لبلاغته إضراراً « ولا خدشت لمكنته وجها »

ولا يضر الفقهاء وأهل العلوم تقصيرهم في هذا النمط من البلاغة فللعلم (كما ذكرت آنفاً) لغة وللادب لغة . قال ابن أبي الحديد في شرح النهج : « وقد استعملت في كثير من فصوله فيما يتعلق بكلام المتكلمين والحكماء خاصة الفاظ القوم مع علمي بأن العربية لا تجيزها » وقال أيضاً : « استهجنا تبديل الفاظهم وتغيير عبارتهم فمن كلم قوما كلمهم باصطلاحهم ومن دخل ظفار حمر »(١)

وقد كتب الاستاذ في العلم بلغة الادب (كدأب هنري بركسن فيلسوف فرنسة وكفلامريون العالم في الفلك) فراحت رسالته في التوحيد في هذا العصر معجزة .

ظهر محمد وظهر محمرد فتقوت العربية بعد أن تضعضعها الخصوم وتعززت بعد إذلال فغدا الدهر عند ذلك يعبد لنابغة يطلع على الدنيا طريقه

ومن سنن الله ومن دساتير الطبيعة ألا يفاجيء نابغة أو عظيم فيما قدر له أن ينبغ أو يعظم فيه قومه مفاجأة دون ان يستعدوا له إذ النابغة في شيء ما إنما هو جوهر أمته ولا يلخص خير الا من خير وما حدث كون عن عدم . وقد أشار الى مثل هذا واضع علم الاجتماع ابن خلدون حين ذكر أمر البعثة المقدسة

غدا الدهر يعبد لنابغة في القريض يطلع على الدنيا طريقة ، وغدا أهل الدهر يرتقبون شعراً يسمى شعر النبوغ قد عدموه منذ عصور ولم يجيء من بعد القرون الثلاثة الاولى ومن بعد الذي يقول :

وما تسم الأيام علمي بأمرها وما تحسن الايام تكتب ما أملي

الا متصدات معدودات والا مقطعات قليلات وأبيات نوادر

غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً يشع مثل الناس إشعاعا ويزهر كالدراري المتوهجة زهوراً بل يضيء كما تضيء الشمس وقد جمل بل قد تجسم من الجمال وقد نوره القرآن فبان بيانا

(١) حمر بتشديد الميم تكلم بالحميرية وظفار بلد باليمن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً هو فوق الشعر وكلاما هو فوق الكلام كان ابن نباتة السعدي وقد سمع مثله من شعر احمد بن الحسين فقال : « نحسن أن نقول ولكن مثل هذا لا نقول» شعراً متنبياً غوتيا شكسبيريا يعلق به الخلود اذا قيل وينشده الدهر الناقد إذ سمعه

انتظرت الامم العربية برهة هذا الشعر النابغ وخروج هذا الشاعر والاقوام كلهم أجمعون متطاولون والاعناق مشرئبة والوجوه الناضرة كما قال الله: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » والعيون ناظرة شاخصة والقلوب في الصدور راقصة والدهر الذي قد ضن امس وجاد اليوم يبتسم فتبلج (وقد تفتحت أبواب السماء بالدعاء) نور

احمد

يملأ الدنيا وطلع على اهلها « شوقي»

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت تلك الدجى وانجاب ذاك العثير
فافتنّ فيك الناظرون فأصبم يوما اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها من أنعم الله التي لا تكفر

وظهرت معه أمه اللغة العربية آخذة بيمينه وقد انحدرت من مقلتيها دمعتان «ومن السرور بكاء » كما قال المتنبي

جاء (أحمد شوقي) وقد أضاء عصر الكهرباء وخرج هؤلاء العفاريت من الافرنج يسحرون الناس بالذي يأتونه . وإن أعمالهم (والله) لساحرة ، وان مبتدعاتهم (كطلهم العبقري) عبقرية باهرة ، وأقبلت هذه المدنية الغربية ناسخة المدنيات ، وصاحبة المعجزات المجنتات

وماهو الا أن تراها (بدارها) فتبهت لا عرف لديك ولا نكر

مدنية عجيبة مدهشة قد حار في أمرها القائلون فما يقولون ، وقد اعجزت شعراءها فما عادوا يبدعون وقل أو ضمحل فيهم في الشعر النابغون ، فلم يعزز شكسبير وغوتي في الغرب بثالث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جاء ذلك وجاء أحمد شوقي فما فر من أمام ما شهد فرار الجبان، ولا أفحم إفحام العاجز، بل مشى مشية الليث (كمشي ذلك الحماسي) ونادى لغته العربية فاجابته، وأهاب بقوته الشعرية فلبته

هما عتادي الكافياني فقد ما أعددته فليأ عني من نأى

فجاء في الشعر بهذا السحر الذي رأيتموه، وقال ذلك القول الذي سمعتموه، وقذف بالشطر بنصف البيت قد اجتافه تاريخ أمة[1]

وسير البيت يعرض فيه للناظرين السامعين دولة

وابتدأ القصيدة في شأن فهاج قبيلا، أو اهدأ قبيلا أو نشط لما يعلي أو ثبط عما يدني فذهبت تلك القصيدة في الناس دستوراً

وغاص وحلق «فاتي (كما قال ابن الاثير في حق حبيب) بكل معنى مبتكر، لم يمش فيه على أثر»

وعرف الشرق وعرف الغرب وعرف العصر (وقد جهل غيره عصره) واكتنه سر التأخر والتقدم فاعطي الحقيقة في الشعر، وهدى بالكلم الطيب ذي الحكمة الى الطريق الاقوم

فكن كشوقي ياشاعراً في هذا العصر فشيع المجاز بالحقيقه (على أن ليست حقيقة هذا الكون — والله — الا مجازا) واعلم أن علم الاقدمين دينهم، ودين المعاصرين خاصتهم علمهم، و(لكل أجل كتاب) كما قال الله، وان الدهر دهر حقائق بل لا تثبت الحقيقة فيه الا في دار الاختبار بالشهود العدول، وان الحال كما قال ذاك الشيخ ذاك الشاك

فنلنا للهزبر أ أنت ليث فشك وقال عليّ أو كأني

فخلق حين التحليق في طيارة، وغص عند الغوص في غواصة، وناج حبيبك بالمسرة اللاسلكية[2] أو (بالرادي) فانهما اسرع من خاطرك

---

١) إجتافه دخل في جوفه (٢) المسرة بكسر الميم وتشديد الراء آلة المسارة والمراد بها التلفون وقد قلت في آخر قصيدتي الشرقية التي نظمتها وأنا تلميذ بطرابلس الشام منذ ثلث قرن.

تتلى فيطرب من بالضاد ينطق من أرجاء فاس إلى القطر العمانيّ
كأنما أنا أشدو بالمسرة أو أملي على رب سلك كهربائي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورب معان يهيم بها الزمان همهمة ولا يفصح ، وتختلج في الصدور ولا تبدو ويجهلها العالم وهي منه مقتربة ، وتغيب عن الالمعي وهي لم تبعد عنه ، قد اجتذبتها قوة شوقي الشعرية وبينتها أي التبيين للعالمين ، فعجب الناس بل ما كادوا يقضون العجب

وقد حالف قصيد ابي علي [1] الفن مخالفة صدق فاتضح اتضاحا وتآخت أبياته تآخيا ، فهي بنو اعيان لا بنو علات ولا اخياف ولا ابناء عم ، وتعانقت معانيه عناق العاشقين وتجلى مقاصده وصرحت صراحة الوطي ذي الاخلاص

وقد جمله وقواه وخلده ، عربيته ، متانته ، لغته ، ديباجته ، وان لهذا كما للمعنى لقدراً ، وان له لبهجة وان له في النفوس لاثراً . وانما المعنى واللفظ شيء واحد فهما كالجسم والنفس ، والنفس والجسم ، كائن فرد لا كائنان متباينان

واللفظ والمعنى كمادة الكون وقوته فليس هناك مادة قد انفرقت عن القوة ، وليس هناك قوة قد زايلت المادة ، كما يقول (كنت) وغير (كنت) من المثنويين أو الاثنيين (les dualistes)

عدم لرأي الثنوية بعد ما جرت لذة التوحيد في اللهوات

ليس ثمة مفترقان ، ان هناك الا اتصال ، ان هناك الا الوحدة ، كما يقول محيي الدين وسبنوزة وارنست هيكل

اذا تبدى حبيبي بأي عين أراه
بعينه أم بعيني [2] فما يراه سواه

بل ليس هذان المعدودان اثنين (أي اللفظ والمعنى) الا صاحبهما يتجلى فيهما ومن أجل ذلك يضعف قول أو يقوى ، ويقبح أو يجمل ، ويصغر أو يكبر ، ويلتبس أو يتضح . وانك أقوال الامم العربية في كل عصر تنبئك بأحوالها فاحوالها المتغيرة ذات الضعف وذات القوة هي في اقوالها فاعرف أقوالها تعرف احوالها

وإذا لم يتجل ذو القول في قوله فليس بذي كينونة وانه لسواء والعدم وما قوله قولا . واذا تشاكس ذات مرة لفظ قول ومعناه فما هو الا مخلوق شائن نعوذ بالله من مرآه .

---

(١) المنار : هو احمد شوقي نفسه (٢) الرواية التي نحفظها « : لا بعيني » وهي التي تطابق * فما يراه سواه * وان كانت العين واحدة على مذهب الوحدة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإني أقسم بالقرآن وبلاغته وإعجازه وعبقريته وعجائبه التي لن تحصى أن لم يكرم لفظ شوقي في الشعر كما كرم معناه ولو لم تشرق هذه الديباجة الشوقية المليحة ذات الحفاوة ذلك الاشراق ما كان احمد شوقي شاعر العربية الاكبر وما كان ملك الشعر وما كنتم اظفرتموه بهذا اليوم. ولكنه عاقل حكيم عرف كيف يقول وكيف يبني قصيده ويشيد أهرامه ليخلد فيها ، وقد قلت قدما. «مايقي المعاني من الدثور الامتانة ألفاظها، ومايخدمها الدهور الا تحقيق كلامها» والدهر أثبت ما كنت قد قلته

وما التجدد يا قوم بصاد صاحبه عن الاحتفال في اللغة الادبية بديباجة القول وإحكامه وصيانته من كل خلل ، وتجليه أنيقا ذا نضارة طبيعيا عربيا، بل التجدد يحدو على ذلك لان التجدد اخو التقدم وخصيم التأخر

ومن التجدد أن تهيم بالفن وهذا فن

ومن التجدد أن تقول القول الجيد المضبوط ليفهم الناس ما تقول

ومن التجدد أن تختار خير طريق في الانشاء والتعريض فتسير فيهما مستقلا لتبلغ وتبلغ قومك من الارتقاء ما يجب بلوغه

ومن التجدد أن تشيد الامة المتنبهة بنيانها على الاساس القوي لئلا ينهار

ومن التجدد أن تتقن ياهذا ماتعمل وترصن ماتعلم وأن تعد لكل أمر عدته والكتابة والشعر عدد ، فقل لي هل أعددتها ؟

ومن التجدد أن يعلم أنه لايجيء من الضعف والانحطاط الا الضعف والانحطاط ولايجيء من القوة والتقدم الا القوة والتقدم ، والمتجدد الاريب انما يريد أن يزداد قوة وتقدما

ومن التجدد أن يعرف من يروم تغييراً كيف يغير فلا يدع الحسن المجمع على حسنه . الى قبيح لاريب في قبحه

ولقد أبهج كل أديب عربي أن عرف المجددون في مصر كيف يجددون وأي دين في التجدد يتبعون

* * *

ان لم تكن القاهرة حاضرة الامم العربية السياسية و (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان القاهرة حاضرة الامم العربية اللغوية ، ملك الشعر فيها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« شوقي » والاقاليم العربية في المشرق والمغرب قاطبة من اعمالها ، وادباؤها عماله ، واهلها رعية إحسانه . وان لهذا الملك علينا السمع ، وان لنا عليه الاجادة في القول ، وقد (والله) أجاد ، وقد سمعنا واطعنا ، وجئت احتفى به (يوم تكريمه) في المحتفين وأعترف بقدرته المتعالية في القريض مع المعترفين

***

جاء محمد[1] وجا خليفته[2] وجاء محمود[3] وخرج نابغة الشعر العربي « احمد شوقي » وكان المقتطف[4] وجاءت هذه النولة الادبية العربية المصرية ومن رجالها الكاتب الاكبر ، والشاعر الاكبر ، والمفكر الاكبر ، والاديب الاكبر ، والخطيب الاكبر والنقاد الاكبر ، والباحث الاكبر ، والفقيه الاكبر ، والمتفنن الاكبر ، والعالم الاكبر ، وكل كبير في علمه ، وفنه فصات في أرجاء الكون هذا الصوت

الا إن محمدا [5]

وذكر محمد

وقرآن محمد

ولغة محمد

وعربية محمد

وأدب محمد

كل ذلك لن يزول ، كل ذلك لن يبيد وفي الدنيا — مصر

(اسعاف النشاشيبي)

---

(١) يعني الاستاذ الامام (٢) عندما قال الخطيب هذا أشار بيده الى صاحب المنار وكان في الصف الأول جهة موقفه اليمنى (٣) يعني محمود سامي البارودي (٤) أي ووجد المقتطف. كل هؤلاء مصريون بيئة واستيطانا قديماً أو حديثاً وليس فيهم أحد قبطي النسب قطعاً فالنهضة المصرية الحاضرة ليست قبطية ولا فرعونية بل عربية وللقبط أنفسهم حظ عربي منها لا ينكر (٥) لعل المراد من كلمة (محمداً) الاولى هذه الاسم لأن خبرها مع ما عطفت عليه قوله بعدها — « كل ذلك لن يزول » وهذا يمنع ارادة المسمى وقوله بعدها وذكر محمد يراد به ذكر مناقبه وشمائله وسننه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علاوة باب الفتاوى

البيت الحرام وسدنته بنو شيبة وحقوقهم والهدايا له ولهم

(س ٧—١٠) جاءتنا الاسئلة الآتية من صاحب الفضيلة الشيخ عبدالقادر الشيبي رئيس سدنة البيت الحرام بمكة المكرمة فرأينا وقد تم باب الفتوى من هذا الجزء أن ننشرها هنا مع الاجوبة عنها هنا ليطلع عليها حجاج هذا العام

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

صاحب السماحة مولانا العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا دام فضله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) إن ما نتناوله من الصلة والاكرام من زوار بيت الله الحرام بطلب وبغير طلب بدون جبر هل يجوز لنا نحن سدنة بيت الله أخذه أم لا أفتونا مأجورين ولكم الثواب من رب العباد.

(ج) يحل ما يعطى عن طيب نفس بغير طلب اجماعا ، وأما الطلب وسؤال ماليس بحق للسائل فهو مذموم لغير المضطر . وسنفصل القول في ذلك فيما نجيب به عن السؤال الرابع وهو فتاوى بعض مفتي مكة المكرمة في المسألة

(٢) هل من يتناولنا بالتشنيع والتنقيد في وظيفتنا لتقديم ناس وتأخير ناس آخرين في دخول البيت المشرف كما تقتضيه الحالة وفيما يصلنا من الزوار ـ هل على ولاة الامر منع المتعرضين والمنتقدين لما رواه يونس عن الزهري عن بلال وعثمان ابن طلحة عن النبي ﷺ قال « إن لله بيتا فاحترموه واحترموا سدنته » أفتونا مأجورين ولكم الثواب

(ج) التشنيع والانتقاد على سبيل الاهانة من الغيبة المحرمة بالاجماع فلا حاجة إلى الاستدلال عليها بمثل هذا الحديث الذي ليس من الاحاديث التي تقوم بها الحجة في الرواية وإن كان معناه صحيحا بل لم أره في شيء من كتب السنة وصيغة الاحترام لم ترد فيها ولا في القرآن وقد استعملها الفقهاء وأراها مولدة ويجب على ولاة الامور منع من يعتدي عليهم ويؤذيهم عند الامكان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٣) ماقولكم دام فضلكم فيمن يصل إلى بيوت السدنة لبيت الله الحرام ويطلب منهم ورقة تتضمن الفسح (الاذن) لدخول البيت المعظم وتبين الوقت الذي يفتح فيه وعند دخوله تؤخذ منه الورقة التي أعطيت له هل يجوز ذلك أم لا أفتونا لازلتم مأجورين

(ج) إن هذا العمل يقصد به النظام وعدم الازدحام المخل به فيما يظهر فهو بهذا القصد حسن لا بأس به في كل حال وقد يكون ضروريا في حال الازدحام

(٤) ولانا أقدم إلى مقامكم طي هذه صورة فتاوي من أسلافكم مفتي مكة المكرمة وعلمائها الاعلام وهي من قديم الاعوام ونحن متمسكون بما احتوت عليه من الاحكام والنصوص الشرعية في سدانتنا وفي أعمالنا واجراء وظيفتنا نسترحم اطلاعكم عليها والتصديق على ماحتوت عليه من الحق والصواب الذي نرجوكم أن ترشدونا اليه ليكون عملنا عليه . ولكم الثواب

(وهذا نصها)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

صورة سؤال قدم لمفتي مكة المكرمة

ماقول العلماء الاعلام في ولاية الكعبة المعظمة وخدمتها وما يوجد فيها ، وما يهدى لها وما تكسى به خارجها وداخلها ، وفتحها واغلاقها ، وما يأخذونه من النذور وزوارها والهدايا ونحو ذلك هل يجوز لبني شيبة أخذه ولا يشاركهم أحد في خدمتها أم لا أفتونا مأجورين

فأجاب حضرة العلامة السيد عبدالله المرغني مفتي مكة المكرمة بقوله

الحمد لله رب العالمين ، رب زدني علما ، اللهم يامن لاهادي لنا سواك ، أنطقنا بما فيه رضاك ، فليعلم السائل أرشدنا الله وإياه للصواب ، ووفقنا لماجاءت به السنة ونطق به الكتاب ، أنه يختص بما ذكر بنو شيبة الموجودون الآن وإلى يوم القيامة لما أرشد اليه الكتاب من الخطاب وأورده من السنة أجلاء الاصحاب والفقهاء الاعلام ، ومفتي بلد الله الحرام ، فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنازعة فيه ، ولا معارضة من قام منهم بما عليه بما يؤذيه ، فمن فعل شيئاً من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم ، بصريح قول المصطفى ﷺ ، ويجب على ولاة الامر تأييدهم وردع من يتصدى لذلك اقتداء به ﷺ لينالوا بركة اتباعه ويكونوا ممن أحبهم الله لقوله تعالى (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقد ذكر العلامة أبو السعود في تفسيره كغيره من المفسرين عند قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) بعد أن ذكر أنه خطاب يعم المكلفين قاطبة مانصه ورد في شأن عثمان بن أبي طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذكر القصة إلى آخرها والله سبحانه وتعالى أعلم كتبه المفتقر عبدالله بن محمد المرغني

مفتي مكة المكرمة كان الله لها حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً

وأفتى في عين هذا السؤال حضرة العلامة الشيخ جمال الحنفي مفتي مكة المكرمة بقوله : سدانة البيت الشريف خدمته وتولي أمره وفتح بابه وغلقه ، فسدنتها هم خدمتها ، ومن يتولى أمرها الشيبيون العبدريون الثابت نسبهم مابقي الزمان ، وتوالى الملوان ، المتصل نسبهم إلى ابن أبي طلحة وأبو طلحة اسمه عبدالله ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري الثابتة لهم هذه المباشرة الشريفة جاهلية واسلاما كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة ، وقد صح أن النبي ﷺ حين أخذ المفتاح من عثمان يوم فتح مكة حتى ظن عثمان أن النبي ﷺ لا يدفعه اليه . وقال العباس بن عبدالمطلب : بأبي أنت وأمي يارسول الله أعطنا المفتاح مع السقاية فأنزل الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) قال عمر رضي الله عنه : فما سمعتها من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة فتلاها ثم دعا عثمان بن أبي طلحة ودفع اليه المفتاح وقال « غيبوه » ثم قال « خذوها خالدة تالدة يابني أبي طلحة بأمانة الله واعملوا فيها بالمعروف ، فلا ينزعها منكم إلا ظالم » وروى الفاكهي عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لما ناول المفتاح إلى عثمان قال « غيبوه » قال الزهري فلذلك يغيب المفتاح ، وانما استوردت هذه الاحاديث ليستنبط منها أحكام الشيبيين وما به جرت عادتهم القديمة منها هذه ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الولاية لهم من الله ورسوله جاهلية واسلاما فيالها من مزية ، لاتضاهيها قضية

ومنها ان لهم تغييب المفتاح وعلى ولاة الامر الحلم عليهم والصفح عن زلاتهم اقتداء به عليه الصلاة والسلام ، وأخذا من قوله ﷺ « كلوا بالمعروف » ان مايهدى اليهم من الصلات والاحسان على وجه التبرع يحل لهم أخذه وهو من الاكل بالمعروف كما وضحه في البحر العميق [1] وكذا مارث من كل ما أبدل وعمر فيها كما جرت به العادة القديمة لهم بالاخذ . ومما يؤيد ذلك ويدل عليه ما ذكره الفاكهي أنه لما حج الناصر محمد بن قلاون في سنة سبعمائة وثلاث وثلاثين أمر بقلع باب البيت المعظم فاخذه الحجبة . ثم قال الفاكهي يؤخذ من هذا ان ما أزيل من البيت الشريف من المؤن وعمل بدله يكون لبني شيبة لايشاركهم فيه غيرهم قد شاهدناهم على مثل هذا ، وانهم يصرحون بأن هذا حقنا بالقواعد القديمة.

وقد أجاب خاتمة المفتين ببلد الله الامين حضرة السيد عبدالله المرغني في عين هذا السؤال وقد رفع اليه في ضمن كلام طويل بما لفظه : فلا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر المنازعة فيه، ولا معارضة من قام منهم بما عليه بما يؤذيه، فمن فعل شيئا من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم والله أعلم ،

أمر برقمه راجي لطف ربه الخفي جمال بن عبد الله شيخ عمر الحنفي

مفتي مكة المكرمة كان الله لهما حامداً مصليا مسلما

وافتى في عين هذه المسألة حضرة الشيخ عبد الله سراج الحنفي مفتي مكة المكرمة بقوله: الحمد لله على نعمة الايجاد والامداد ، والصلاة والسلام على من حث على حفظ امانة العباد . بنو شيبة الصحابي هم سدنة الكعبة المعظمة الى يومنا والى يوم القيامة لما صرحت به السنة وليس لأحد مشاركتهم في فتحها واغلاقها وخدمتها لقوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وذكر أكثر المفسرين والامام احمد في تفسيره الكبير عند قوله تعالى (ان

(١) المنار : (البحر العميق . في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق) لأبي البقاء المكي العمري الحنفي من فقهاء القرن التاسع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) أنها نزلت في عثمان بن أبي طلحة الحجبي سادن الكعبة المعظمة وروى جبير بن مطعم قال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ «مادام هذا البيت أولبنة من لبناته قائمة فان المفتاح والسدانة في أولاد عثمان ابن أبي طلحة الى يوم القيامة» وروى بشر بن السري في المناسك عن نافع الحجبي وعن أبيه عبد الرحمن أن اباه حدثه ان الامام ابا حنيفة لما حج ودخل البيت الشريف وصلى فيه واعطا له[1] الف دينار وقال بنو شيبة هم سدنة البيت الى يوم القيامة لايشاركهم أحدفي خدمتها . وأعظم الامام مالك أن لايشرك[2] مع الحجبة أحد في الخزانة لانها ولاية من النبي ﷺ اذ دفع المفتاح لعثمان. قال القاضي عياض الخزانة أمانة البيت وما ينذر مايأخذونه من الزوار فلهم أخذه لانه من الاكل بالمعروف كما اوضحه في البحر العميق . واما مارث من كسوتها وجدد فيها فهولهم وقول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ ما بال بابه مرتفعا قال « فعل ذلك قومك ليمنعوا من شاؤا» وقولها يارسول الله كل زوجاتك دخل الكعبة غيري فقال «إذهبي لقرابتك شيبة يدخلك »فذهبت له فاتى الى النبي ﷺ وقال يارسول الله إنها لم تفتح ليلا في جاهلية ولا في اسلام فان امرتني فتحتها فاخذها وأمرها أن تصلي في الحجر رواه البخاري في صحيحه ، واما تغييب مفتاح الكعبه فلهم تغييبه كما رواه الفاكهي عن جبير بن مطعم ان رسول الله ﷺ لما ناول المفتاح الى عثمان قال «غيبوه» قال الزهري فلذلك يغيب المفتاح .ولا يجوز عزل صاحب المفتاح ولو كان غير مرضي الحال كما صرح به مفتي مكة المشرفة لانها وظيفة من الله ورسوله فيالها من مزية لاتقاس بوظيفة او قضية والله أعلم

قال بفمه وأمر برقمه خادم الشريعة والمناهج عبدالله سراج الحنفي

وافتى بما يؤيد ذلك ابنه العلامة الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة المكرمة بقوله قد اطلعت على ما أجاب به والدي عبدالله سراج الحنفي وما أجاب به شيخي الشيخ جمال بن عبدالله مفتي الاحناف بمكة والعلامة السيد عبدالله المرغني فوجدته هو الحق والصواب ولا يعول على سواه وجوابي كما أجابوا والله سبحانه وتعالى أعلم

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب « أعطاه » (٢) كذا في الأصل المرسل الينا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كتبه خادم الشريعة والمنهاج عبد الرحمن بن عبد الله سراج الحنفي مفتي مكة المكرمة كان الله لهما حامدا مصليا مسلما

﴿ تلاوة لهذه الفتوى من مرسلها فيما يظهر ﴾

اخرج الترمذي عن أبي أيوب الانصاري قال قال رسول الله ﷺ الانصار ومزينة وجهينة وغفار واشجع ومن كان من بني الدادا رموالي ليس لهم مولى دون الله والله ورسوله مولاهم » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وما أشار اليه العلامة الشيخ عبد الله سراج في فتواه السابقة الى قول المحقق مفتي مكة المكرمة في القرن العاشر العلامة ابن ظهيرة في فتواه ما نصه بلفظه اذا اختلف حجبة البيت بما جرت به العادة هل يقضى لهم بتقديم اكبرهم وربما كان غير مرضي الحال ؟ يقضي للاكبر وان كان غير مرضي الحال وانما يجعل معهم مشرفا منهم والقضاء بما جرت به العادة تشهد له بمسائل كثيرة لا تقاس بوظيفة ما لقوله ﷺ « اني لم أدفعها لكم ولكن الله دفعها لكم » صح وقوله ﷺ « كل مأثرة تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت » ولما رواه يونس عن الزهري عن سالم عن أبيه قال أخبرني بلال وعثمان بن طلحة أن النبي ﷺ قال « ان لله بيتا فاحترموه واحترموا السدنة » وأيضا أخرج الحافظ ابن حجر في شرح البخاري عند دخول النبي ﷺ من اعلا مكة : روى ابن عابد من طريق بن جريج أن عليا قال للنبي ﷺ اجمع لنا الحجابة والسقاية فنزلت (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فدعا عثمان فقال « خذوها يا بني شيبة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم » وفي طريق علي بن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال « يا بني شيبة كلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » قال الامام فخر الرازي في تفسيره (ج ٣ ص ٢٣٨) قوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) الى أن قال الامام بعد أن ذكر القصة يوم الفتح وطلب ﷺ المفتاح واخذه من عثمان بن أبي طلحة بن عبد الدار وطلب العباس له ورده الى عثمان وقال « ياعثمان خذ المفتاح على أن للعباس نصيبا معك » فانزل الله هذه الآية فقال النبي ﷺ لعثمان (خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم) اه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(تعليق المنار على ماتقدم)

إن في بعض عبارات هذه الفتاوي ما يؤخذ على أصحابه كاطلاق بعضهم فيمن ينازع بني شيبة أو يعارضهم بما يؤذيهم في عملهم قوله «فمن فعل شيئاً من ذلك استحق الطرد والابعاد ، والخزي والنكال من رب العباد ، لدخوله في سلك من ظلم » فهذا غلو وجرأة في أمر لا يمكن أن يعلم إلا بنص عن الله ورسوله ، وما كل من ظلم أحداً بقول أو فعل يطرده الله من رحمته ويبعده كما طرد ابليس وأبعده ، أو يخزيه وينكل به ، كما يفعل بالمشركين به ، فان من الظلم ماهو من الصغائر ومنها ماهو من الكبائر كما هو معلوم وقد شرح في المنار من قبل (وفيها) تساهل في ايراد بعض الروايات بعدم بيان مخرجيها من أهلها وعدم بيان المسند المرفوع من غيره ، والصحيح من غيره ، كما هي عادة المفتين منذ القرون الوسطى ينقلون من كل كتاب يقع في أيديهم من غير تمحيص (وفيها) ابهام لبعض المسائل كتغييب مفتاح البيت المعظم ومسألة تعليل رفع بابه من عهد الجاهلية ، هذه المسائل باختصار فنقول :

﴿ أما السدانة ﴾ فهي حق بني شيبة بلا نزاع وقد ثبت ذلك بالعمل المتواتر ، وقد شذ في بعض القرون بعض أمراء مكة بأخذ مفتاح البيت الحرام من الشيخ الشيبي فكان ذلك في نظر الناس أمراً إمراً ، وشيئاً نكراً ، ولم يطل الامد على ذلك حتى ردت الامانة إلى أهلها . وقد فصلت هذه المسألة في الرحلة الحجازية الأولى وذكرت بعض الاحاديث الواردة فيها معزوة إلى مخرجيها وهي في (ص ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ من المجلد العشرين من المنار) وفيها أن لأهل هذا البيت أن يفخروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة الثابتة من قبل الاسلام ، التي أقرها لهم الله ورسوله الخ ، أي ليس في الناس أهل بيت لهم مثل المزية ومثل هذه الوظيفة الثابتة حكماً وفعلا وقد حفظ بها نسبهم مع كرامة حسبهم ، وقد فاتني أن أسأل كبيرهم الشيخ محمد صالح رحمه الله في ايام رحلتي الاولى والشيخ عبد القادر صاحب الاستفتاء في الرحلة الثانية عن نسبهم وعددهم ، فانا لا نعلم شيئا عن حفظ نسبهم الذي اضطرهم اليه هذه الوظيفة ، فان كانوا قد كثروا كما كثر العلويون على ممر القرون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فكيف ضبطوا أنسابهم ليعلم أكبرهم سنا فيكون صاحب المفتاح ورئيس الحجاب لبيت الله تعالى وأين يقيمون؟ وإن كانوا قليلين فما سبب ذلك؟ اننا نرجع إلى كبيرهم في طلب البيان ولعله يجيبنا على ذلك كتابة بالاختصار

﴿ وأما هدايا الكعبة والنذور لها ﴾ فهي تختلف باختلاف ما يهدى وتنذر له وبالعرف وأطلق بعضهم القول بأنها خاصة بها تحفظ لينفق منها على عمارتها عند الحاجة وصرحوا بأنه لا يجوز انفاق شيء منها على الفقراء ولا في المصالح. وروى البخاري واللفظ له وأبو داود وابن ماجه عن أبي وائل قال: جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر (رض) فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته. قلت ان صاحبيك لم يفعلا. قال: هما المرآن اقتدى بهما. وفي بعض الروايات عن شيبة أنه قال لعمر: ما أنت بفاعل. قال ولم ذاك؟ قلت لأن رسول الله ﷺ قد رأى مكانه وأبو بكر وهما احوج إلى المال منك فلم يحركاه

والمراد بهذا الكنز الذي كان فيها مما يهدى إليها وكان في صندوق في البيت. وروى مسلم من حديث عائشة (رض) عنها في بناء الكعبة «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله» فظاهر هذا التعليل أن الامتناع من انفاق الكنز كالامتناع من نقض بناء الكعبة وإقامتها على أساس ابراهيم ﷺ وإلصاق بابها بالارض وفتح باب آخر في مقابله فقد علل ذلك ﷺ في كلامه مع عائشة بحداثة عهد قومها بالكفر والجاهلية وخوف انكار قلوبهم ذلك، وفي رواية خشية انكسار قلوبهم والروايات عنها في هذا ثابتة في الصحيحين وغيرهما، وهذا التعليل قد زال بتمكن الاسلام وهو يدل على عدم امتناع انفاق كنزها في سبيل الله لذاته فما بال الفقهاء حرموا ذلك؟ وقد يقال إن ذلك الكنز كان من أموال المشركين في الجاهلية وما ذكروه من الهدايا والنذور في عهد الاسلام يخالفه في حكمه فيجب صرفه فيما وقف أو نذر له وهو مصالح البيت وحدها. وقد روى الازرقي في تاريخ مكة أن النبي ﷺ وجد في الجب الذي كان في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدى للبيت فقال له علي (رض) يارسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك! فلم يحركه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي هذه المسألة فروع ذكروا فيها أن لحجبة البيت (وهم آل شيبة) أن يتصرفوا ببعض النذور التي جرى بها العرف ننقل الفروع الثلاثة الآتية منها عن كتاب (الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف) للشيخ جمال الدين محمد جاد الله القريشي المخزومي الحنفي من علماء مكة في القرن العاشر قال: فروع

(الاول) تختص الكعبة الشريفة بما يهدى اليها وما ينذر لها من الاموال وامتناع صرف شيء منها إلى الفقراء والمصالح إلا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه وإلا فلا يغير شيء عن وجهه نبه عليه الزركشي من الشافعية

(الثاني) اذا نذر شمعاً يشعله فيها أو زيتاً ونحوه وضعه في مصابيحها وإن كان لا يستعمل فيها بيع وصرف الثمن في مصالحها صرح به الماوردي

(الثالث) نقل الجد في منسكه مسألة تعم بها البلوى فقال شخص نذر أن يوقد شمعاً على باب الكعبة فأرسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به وأوقده على الباب قليلا فجاء الحجبة فأخذوه ومنعوا استمرار وقوده وقالوا هذه عادتنا مع كل أحد وربما سرقه نوابهم على غفلة بعد إيقاده قليلا فهل تبرأ ذمة الناذر والمرسل معه أو ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال

(الجواب) الناذر خلص عن عهدة المنذور لبلوغه محله وكون الحجبة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر في ذمة الناذر ولا المرسل معه، وإن كان على الحجبة ابقاؤه موقوداً إلى نفاده ولا خفاء أن الناذر نفسه لو حضر بالشمع فكان ما تقدم كان الحكم كذلك، ومحل صحة هذا النذر من أصله أن ينتفع بهذا الموقود ولو على ندور مصل هناك أو غيره وإلا فان كان المقصد بالنذر وهو الغالب تعظيم البقعة ففيه وقفة ومقتضى كلام النووي عدم الصحة وصرح به الاذرعي وتبعه الزركشي انتهى

(أقول) مقتضى مذهبنا أن المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد إيصال الشمع إلى المحل، بل ولا بوقوده قليلا ما لم يوقد ثلثاه فأكثر، وأما الحجبة فلهم أخذه بغير اذن المرسل إذ جرى العرف بذلك بعد أن وقد معظمه نص عليه في القنية من كتب المذهب انتهى بحروفه

﴿تنبيه﴾ ان الشمع الذي يوقد الآن على باب الكعبة لا ينتفع به أحد لان الحرم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كله يضاء بقناديل الكهرباء وقناديل أخرى غازية ، ويرضعه على عتبة الباب يستقبله المصلون واستقبال النار في الصلاة محظور لما فيه من شبه المجوس كما صرحوا به . ولعلهم تساهلوا فيه لان المراد به تعظيم الكعبة مع كون شبه المجوس نسي فلا يخطر بالبال

﴿وأما كسوة الكعبة المعظمة﴾ فالاصل فيها أن أمرها إلى الامام الاعظم ولذلك كان عمر (رض) يقسمها على الحجاج كما يأتي ، ثم ترك الائمة والامراء أمرها إلى بني شيبة حجبة الكعبة . قال الحافظ ابن حجر في الفتح في شرح حديث عمر في كنز الكعبة الذي تقدم آنفا نقلا عن ابن المنير : والذي يظهر جواز قسمة الكسوة العتيقة إذ في بقائها تعريض لاتلافها ولا جمال في كسوة عتيقة مطوية (قال) ويؤخذ من رأي عمر أن صرف المال في المصالح آكد من صرفه في كسوة الكعبة لكن الكسوة في هذه الازمنة أهم (قال) واستدلال ابن بطال بالترك (أي ترك عمر لكنز الكعبة اتباعا) على إيجاب بقاء الاحباس (أي الاوقاف) لا يتم إلا إن كان القصد بمال الكعبة اقامتها وحفظ أصولها اذا احتيج إلى ذلك . ويحتمل أن يكون القصد منه منفعة أهل الكعبة وسدنتها ، أو ارصاده لمصالح الحرم أو لأعم من ذلك ، وعلى كل تقدير فهو تحبيس (أي وقف) لا نظير له فلا يقاس عليه انتهى

(ثم قال الحافظ) عقب نقل هذا : ولم أر في شيء من طريق حديث شيبة (أي مع عمر) هذا ما يتعلق بالكسوة إلا أن الفاكهي روى في كتاب مكة من طريق علقمة ابن أبي علقمة عن أمه عن عائشة (رض) قالت : دخل علي شيبة الحجبي فقال ياأم المؤمنين إن ثياب الكعبة تجتمع عندنا فنتزعها ونحفر بئاراً فنعمقها وندفنها لكي لا تلبسها الحائض والجنب . قالت بئسما صنعت ، ولكن بعها فاجعل ثمنها في سبيل الله وفي المساكين فانها اذا نزعت عنها لم يضر من لبسها من حائض أو جنب . فكان شيبة يبعث بها إلى اليمن فتباع فيضعها حيث أمرته . وأخرجه البيهقي من هذا الوجه لكن في اسناده راو ضعيف واسناد الفاكهي سالم منه . وأخرج الفاكهي أيضا من طريق ابن خثيم حدثني رجل من بني شيبة قال : رأيت شيبة ابن عثمان يقسم ماسقط من كسوة الكعبة على الساكين . وأخرج من طريق ابن أبي نجيح عن أبيه أن عمر كان ينزع كسوة الكعبة كل سنة فيقسمها على الحاج اه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد نقل القسطلاني في شرحه لهذا الحديث أقوالا للشافعية في الكسوة ختمها بنقله عن (المهمات) للاسنوي التفصيل الآتي :

واعلم أن للمسألة أحوالا (أحدها) أن توقف على الكعبة وحكمها مامر ، وخطأه غيره بأن الذي مر محله اذا كساها الامام من بيت المال ، أما اذا وقفت فلا يتعقل عالم جواز صرفها في مصالح غير الكعبة (ثانيها) أن يملكها مالكها للكعبة فلقيِّمها أن يفعل فيها مايراه من تعليقها عليها أو بيعها وصرف ثمنها إلى مصالحها (ثالثها) أن يوقف شيء على أن يؤخذ ريعه وتكسى به الكعبة كما في عصرنا فان الامام قد وقف على ذلك بلاداً

(قال) وقد تلخص لي في هذه المسألة أنه إن شرط الواقف شيئاً من بيع واعطاء لأحد أو غير ذلك فلا كلام ، وإن لم يشترط شيئاً إن لم يقف الناظر تلك فله بيعها وصرف ثمنها في كسوة أخرى وإن وقفها فيأتي فيه مامرّ من الخلاف في البيع . نعم بقي قسم آخر وهو الواقع اليوم في هذا الوقف وهو أن الواقف لم يشرط شيئاً من ذلك ، وشرط تجديدها كل سنة مع علمه بأن بني شيبة كانوا يأخذونها كل سنة لما كانت تستكسى من بيت المال — فهل يجوز لهم أخذها الآن أو تباع ويصرف ثمنها إلى كسوة أخرى ؟ فيه نظر والمتجه الاول أهـ

أقول ذكرت هذا التفصيل لان المطلعين على كتب الفقه يرون فيها أقوالا مختلفة في المسألة سببها اختلاف التاريخ والاحوال والحالة الاخيرة التي ذكرها القسطلاني هنا هي الثابتة إلى الآن ، وهي أن الملك الصالح اسماعيل بن الناصر ابن قلاوون صاحب مصر وقف قرية بيسوس (ويقال الآن بسوس) من نواحي القاهرة على كسوة الكعبة سنة ٧٤٣ ومن ذلك العهد تصنع الكسوة في مصر في كل عام ، وهل العبارة في القسطلاني له وهو قد توفي في سنة ٩٢٣ أم للاسنوي وهو قد توفي سنة ٧٧٢ ؟ الاظهر الاول ، والحالة واحدة

وفي الجامع اللطيف : نقل الفاسي رحمه الله أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة مع جانب كبير من كسوتها أو ستة آلاف درهم كاملية عوضا عن ذلك إلى أن رفع ذلك عنهم السيد عمان بن مقاس لما ولي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمر مكة سنة ٧٨٨ وتبعه أمراء مكة في الغالب . ثم ان السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ويهديها لمن يريد من الملوك وغيرهم انتهى (أي كلام الفاسي) وقد استمر الامر كذلك من أمراء مكة إلى يومنا هذا (أي سنة ٩٥٠) اه

وأقول ان أمراء مكة صاروا يأخذون الكسوة العتيقة كل سنة ويتصرفون فيها إلى عهد الملك حسين بن علي ثم ردها الملك عبد العزيز بن السعود إلى الشيبي

ثم أورد صاحب الجامع اللطيف فروعا في المسألة أولها في مسألتنا وهو :

« يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا اذا استغنت عنه ، وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم ويجوز الشراء من بني شيبة لأن الامر مفوض اليهم من قبل الامام نص عليه الطرسوسي من أصحابنا في شرح منظومته ، ووافقه السبكي من الشافعية ثم قال وعليه عمل الناس ، والمنقول عن ابن الصلاح أن الامر فيها إلى الامام يصرفها في بعض مصارف بيت المال بيعا واعطاء ، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي قواعد صلاح الدين خليل بن كيكلندي أنه لا يتردد في جواز ذلك الآن لأجل وقف الامام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها في كسوة الكعبة والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها ، واستحسن النووي الجواز أيضا . قال الجد رحمه الله : هذا في الستور الظاهرة ، وأما الستور الداخلة فلا تزال ، بل تبقى على ماهي عليه لأن الكلام انما هو في الستور التي جرت العادة أن تغير في كل عام ، فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك في الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة انتهى

﴿ وأما مسألة ارتفاع باب الكعبة ﴾ فقد كان من استبداد قريش وترفعهم وأثرتهم على الناس ، وانما ذكره النبي ﷺ لعائشة منكراً له لا مجيزاً ولم يذكر في السؤال ولا في الفتاوى المسئول عنها نص الحديث كله في ذلك وهو في الصحيحين ولفظه في البخاري عنها سألت النبي ﷺ عن الجدر (هو بالفتح الجدار بالكسر والمراد به الحجر ، وقد ورد الحديث في غيرهما بهذين اللفظين) أمن البيت هو ؟ قال « نعم » قلت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فما لهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال « إن قومك قصرت بهم النفقة [1] قلت فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال « فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا ، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت ، وأن ألصق بابه بالارض » زاد مسلم « لنظرت أن أدخل » أي أن أفعل ذلك ، كما زاد عند قوله ويمنعوا من شاؤا « فكان الرجل اذا أراد أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى اذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط »

وفي حديث آخر للبخاري أنه ﷺ قال لها « ياعائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالارض وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به أساس ابراهيم » (قال) فذلك الذي حمل ابن الزبير على هدمه الخ

وأقول ان عبدالله بن الزبير فعل كل ما كان النبي ﷺ يحب أن يفعله فأعاده إلى أساس ابراهيم ورأى ذلك الاساس المتين وراه الناس وجعل له بابين، ولكن الحجاج هدم ما بناه وأعاده كما كان . ونقلوا ان عبدالملك بن مروان ندم على اذنه للحجاج في هدمها ولعنه ، وكان اتهم ابن الزبير بالكذب على عائشة فأخبره الحارث ابن عبدالله بن أبي ربيعة انه سمع ذلك منها فندم ، وأراد بعض خلفاء بني عباس أن يعيدها إلى بناء ابن الزبير فناشده الامام مالك أن لا يفعل لئلا تصير ملعبة للملوك فلهذا بقيت على وضعها إلى الآن

﴿ وأما تغييب المفتاح ﴾ فلا أذكر أن أحداً بحث في سببه أو حكمته فأراجع قوله وكان الذي يسبق الى فهمي كلما قرأت ذلك ان سببه مطالبة كل من العباس وعلي (رض) له بجعله لبني هاشم فحسب ﷺ أنه ربما يراه أحد من بني هاشم مع طلحة فينتزعه منه لعدم علمه بتخصيصه به هو وآله من بعده فتكون فتنة وقد زال هذا السبب منذ العصر الاول ولم يبق لتغييب المفتاح معنى الا ابقاء الباب مقفلا في معظم الاوقات وفتحه في أقلها وهو خلاف ما كان يريده ﷺ من فتح بابين لها

---

[1] قال الحافظ في الفتح أي الطيبة التي أخرجوها لذلك وذكر أنهم لم يدخلوا في النفقة على بنائها شيئا من كسب بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مساويين للارض ليدخل الناس من أحدهما ويخرجون من الآخر ، والظاهر ان أئمة الحكم وأئمة العلم رأوا ان المصلحة العامة التي منعت النبي ﷺ ثم الخلفاء الراشدين من تنفيذ ذلك وبقاء الحال على ما كانت عليه من علو الباب ووحدته لاتزال تقتضي ذلك في كل زمان وان اختلفت العلة ، فلو جعل الباب الآن مفتوحاً في كل وقت لامتهن البيت وقل احترامه وحدثت فيه بدع ومنازعات عند الازدحام ففتحه في بعض الاوقات وتخصيص بعض الناس بدخوله دون بعض يقي من ذلك كله مع مراعاة الشيبيين للحكمة ومداراة الناس في ذلك

وجملة القول ان السدانة ثابتة لبني شيبة بالتواتر والله أعلم

﴿ دعوة مفسدي الرافضة يحيى الى قتال ابن السعود ﴾

(وأهل الحجاز الى الثورة)

ننشر هذه الابيات الآتية من قصيدة نشرتها جريدة حضرموت بامضاء ابن زمزم ليعلم حزبها اننا نعلم انه لاقيمة له ولا تأثير لفتنته عند الامام يحيى ولا عند غيره بالأولى ، فلم يبق لهم ملجأ بعد خذلان أبي الاشبال لهم الا أن يتضرعوا لاخوانهم في ايران فيقيموا لهم ملكا كالملك الذي أقاموه لأئمة آل البيت من قبلهم ! ! قال الناظم الاحمق :

يانفس ذوبي ويا قلب اتقد ألما ... وامطري الدم ياعيني منسجما

ويا قضاء إلهي لاتذر أبداً ... في القوم من ناطق بعد الذي دهما

دهى الجزيرة خطب لاحدود له ... أعيا النهى وأثار الشر والنقما

خطب يعيد بلاد العرب أندلسا ... أخرى ويرمي على طول المدى حمما

فلست مستصرخا بالمسلمين وهم ... يرون مافاض في بيت الهدى وطمى

وما أصيب به دين النبي ضحى ... والامر لله يجريه بما حكما

لكنني [1] سوف أدعو من اذا كشفت ... عن ساقها الحرب كان الصارم الخذما

ومن تحدر من بيت محانده . ... ان أجدب الناس كانوا فيهمو ديما

ومن أتى جده الهادي وعترته ... من بعده مابقوا بين الورى نعما

(١) مفهوم هذا الاستدراك أن الامام الذي يدعوه وجماعته ليسوا من المسلمين ! !

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نفسي الفداء لأهل البيت لا بقيت نفس اذا لم تسر في حبهم قدما
يا ملجئي وأمير المؤمنين ومن نلقى عليه من الآمال ماعظما
يا راعي اليمن الخضراء يملؤها تقى وعدلا وإيمانا بها اعتصما
يا تاج يعرب والاسلام قاطبة يا من يجير الحمى والدين والذمما
ويا شديد العرى في كل نائبة أدعوك مولاي للأمر الذي قصما
« يا ابن النبي وأنت اليوم وارثه » حتام يهدم في الاسلام من هدما
حتام يعبث في لب الجزيرة ؟.. لا خوف من الله لا صدق ولا شمما
سكت المعتدي يستن مندفعا كيما يكون هو البادي الذي ظلما

ثم قال يحث أهل الحجاز على الثورة تمهيداً للزحف الموهوم

فلن يحل لكم در الحجاز — وقد قنعتموا بالردى لاعزم لاهما
بالله موتوا فقد ماتت شمائلكم ولا حياة لجسم يفقد الشيما
أولا فأحيوا زمانا كنتمو شهبا فيه وثوروا سراعا واحملوا العلما
كأنكم بأبي الاشبال سيدنا يحيي الامام يقود البحر ملتطما
كأنكم بحميد الدين يهتف في أكناف مكة: زال البؤس منتقما
من خلفه ضيغم الفتيان احمد قد خاض العجاج ففر الخصم وانهزما
وخلص البيت مما قد أحاط به ورد للعرب والاسلام ماعدما

حجاج الشيعة الايرانيين ومصر

تعددت الاخبار من سورية بأن كثيراً من حجاج الشيعة الايرانيين قد وفدوا عليها في طريقهم إلى الحجاز عصيانا لحكومتهم في طاعة الله تعالى. وذلك ان هؤلاء الحجاج قد رأوا ان الاراجيف التي نشرت في العام الماضي لمنع الشيعة من الحج كانت كاذبة خاطئة ، فالوها بيون لم يسألوا احداً من الحجاج عن مذهبه ولا عن حجه ولا كلفوا احداً اتباع مذهبهم والبلاد كلها آمنة مطمئنة فلا عذر لمسلم في ترك الفريضة مع القدرة اتباعا لهوى حكومته وقد روى الشيخان وأبو داود والنسائي من حديث علي كرم الله وجهه مرفوعا الى النبي (ص) «لا طاعة لأحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف» ولكن بعض الملاحدة في مصر يدسون الدسائس لاقناع حكومة مصر باتباع حكومة ايران في منع الحج وتحبيذ عملها ، والمسلمون لا يثقون بأقوالهم في امر الدين لانهم خصومه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لا بد من

قتل صاحب المنار

بلغنا أن الكاتب المغرور، محمد حسين هيكل بك رئيس تحرير جريدة السياسة المغرور، لسان حال الحزب الحر الدستوري وحزب الملاحدة قد قرر لمرؤسيه محرري جريدة السياسة لا بد من قتل صاحب المنار فوافقوه ، وهم يعنون بهذا القتل ما يكون بأسنة أقلامهم الطعانة. فالمتبادر أنهم يعنون القتل المعنوي أو ما يسمونه الأدبي ، وإن كانوا لا يدخرون وسعاً اذا قدروا على إيذائه بغير ذلك كما فعلت السياسة حين اتهمته من قبل بأنه يعمل مع جمعية سرية دينية سياسية باغراء الأمير عباس حلمي (الخديوي السابق) ولولا أن كذبت الحكومة هذه التهمة تكذيباً رسمياً عقب إذاعة جريدة السياسة لها لانتزع صاحب المنار من بين أهله وولده ووضع في غيابة السجن رهن التحقيق فكان ذلك أطرب لرئيس تحرير السياسة من الصبوح والغبوق ، وبلوغ العيوق

كان ذنب صاحب المنار لدى جريدة السياسة يومئذ إنكاره على علامتها المحقق الشيخ علي عبد الرازق كتابه الذي أنكر فيه التشريع الاسلامي من أساسه ...

وقد تضاعفت ذنوب صاحب المنار من هذا النوع فهو بالمرصاد لجميع أنواع الدعاية الالحادية التي تبثها جريدة السياسة باسم التجديد والثقافة العصرية التي تزعم أن مصر بدعايتها وبعناية مدرسة الجامعة المصرية ستنسخ بها ثقافة الاسلام التي مصدرها الأزهر وغيره وتحل محلها ، ويتبعها في ذلك سائر العرب بزعمها

يظن محررو السياسة أن الذي يطلق لسانه وقلمه من كل قيد من قيود الحق والصدق والأدب يستطيع اذا كان ذا خلابة أن يجعل الحق باطلا والنور ظلاما والشرف خسة والفضيلة رذيلة، ويظنون أنهم فعلوا بخلابتهم بسعد ووفده ما لم يفعله جيش الاحتلال ، وفعلوا لحزبهم ما لا يسمح لنا ببيانه المجال ... هذا وان سعداً قد بلغ من ارتفاع المكانة في مصر ما لم يبلغه أحد يعرفه التاريخ فماذا يكون رشيد رضا الغريب السوري الضعيف ؟ يقولون إذا قتلناه نصف قتلة بما كتبناه في مسألة مؤتمر الخلافة، كما قتلنا الازهر نفسه فهو الآن مثخن جراحا وسنقضي عليه ببضع مقالات أخرى

غرور كبير ما قتلوا ولن يقتلوا الا حزبهم وأنفسهم ، وسنقضي بحول الله وقوته على اباطيلهم ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ولكم الويل مما تصفون ﴾